

القلم منسى يوحنا



الدليل الصحيح
في تأثير دين المسيح

مكتبة المحبة
MB

مقدمة

منذ ألفى سنة تقريبا رن في فضاء هذه الأرض صوت يقول
«المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة»

منذ ألفى سنة هبط الجوهرة الإلهي للاتحاد بطبيعة البشر في عالمنا
الذي .

منذ ألفى سنة جاء الى العالم اعلان الله في شخص يسوع المسيح
معلنا للبشر محبته ، وكانت حياته قصيرة الأمد لا تتجاوز الثلاثة
والشلاطين حولاً من بيت لحم الى الجليلجة لم يقض منها الا ثلاث سنوات
في خدمته العامة ، ولكن تلك الحياة القصيرة وذلك الموت الذي ماته على
أثرها أحدثا انقلاباً عظيماً في العالم فكانت الأمم وقتئذ متشعبة من روح
الأنانية قعيدة الظلمة الحالكة وحضينة الشر المدهم لا يرى فيها الا الشقاء
والفساد وكان العالم كله مسوقاً بسلطان القوة الغاشمة ولا أثر فيه لنا موس
المحبة .

فجاء المسيح برسالته وأعلن محبة الله ورغبته في إيواء كل شارد
فكان لاعلانه رنة فرح ورجاء دوى صداها في كل المسكونة

يسوع المسيح ابن الله صار انساناً فامتبدل عرش المجد بمذود بيت

لحم ، وآثر سخریات الناس على هتاف الأجواق السمائية ورضى
باكليل الشوك بدلا عن اكليل العظمة والابهة . وانتسب الى عائلة فقيرة
تمتحن حرفة النجارة وعاش بين شعب مردول ومحقر كان يتجرع وقتئذ
كؤوس الذل مترعة تحت نير الامبراطورية الرومانية

ولما كان طفلا هرب مع والديه الى مصر طلبا فى النجاة وبعد
أن أتم مهمته قضى كمجرم على الصليب ولكن قبل أن يموت أوعز الى
نفر قليل من الصيادين والفقراء أن يبشروا بحياته وموته ورسالته ففعلوا
ومن ذلك الحين نرى الممالك والامم تعتنق المسيحية الواحدة بعد
الآخرى .

ولم يكن هناك سبب يجعل الناس يؤمنون بالمسيحية إلا لان
السيد المسيح أتى بالتعاليم المثلى التى كانت دواء شافيا لعلل البشر
الكثيرة التى انتابتهم والتى لبثوا يشنون منها قرونا عديدة . حتى أن من
يقارن حال العالم قبل ظهور المسيحية وحاله بعد ظهورها يرى الفرق
واضحا لكل ذى عينين فالآداب تحسنت والعلوم أزهرت والعادات ارتقت
والضمائر اطمأنت ولم نعد نسمع أنات المظلومين وزفرات البائسين فالعدل
انتشر والملاجىء شيدت لايواء العجزة والمقعدين وشر الناس بواجباتهم
نحو بعضهم فطفق العالم يرشد الجاهل وأخذ البصير يقود الاعمى . كل
هذه وغيرها ثمار جناها العالم من فضل تأثير المسيحية وفعالها الحسن
السريع فى النفوس

أجل . ان المسيحية لا تعمل بقوة السلطان أو البطش أو بالطنطنة
والصراخ ولكنها بقوة خفية لا ترى . ولا غرو فان بعض القوى الطبيعية فى
العالم المادى تتبع هذا المثال . فهل يشعر أحد بدوران الارض حول
الشمس ؟ أو هل يشعر أحد بكيفية غوه ؟ أو هل نسمع قوة الجاذبية التى
تحدث المد والجزر فى البحار؟ هكذا قوى المسيحية فانها تفعل فعلها بهدوء
ونظام ولا نرى الا نتائجها

رب معترض يقول . اننا نرى الامم المسيحية لا تخلو من الشرور
والمساوىء الادبية بل كثيرا ما تتطايير منها شرور الاثم الى غيرها .
فنجيب أن الشرور والمساوىء لا مناص منها فى عالم متسع مثل هذا مملوء
من المطامع الاشعبية ومشحون بحب الذات والاثرة بالسلطة . ولسنا من
الذين يقولون بامكان استئصال شأفة الشر من العالم . ولكن قادة الرأى
العام فى كل البلدان المسيحية يناضلون نضال الابطال ضد كل هذه
المساوىء ويرفعون عقيرتهم بالشكوى من دوس الشرائع المسيحية
ويعضدهم فى ذلك كل المسيحيين الحقيقيين

على أن ازدياد عدد المعترفين بعظمة المسيح ولاهوته مع حقارة
شأنه فى مبدأ الامر وثبات المسيحية لان ضد العقبات العديدة التى
اعترضتها ، وتأثيرها العجيب وفضلها على العالم مما يبرهن بكل صراحة
على حقيقتها ومما يجعلنا نؤمن أكثر فأكثر ان المسيحية هى الدين السماوى
الذى أوجده الله فى العالم خير مخلوقاته ما داموا على الارض وبه يصلون
مكان الراحة فى العالم الآخر .

الباب الأول

شهادة العظماء للمسيح

« ان سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ » لو ١٩ : ٤٠

فى القرن الماضى بعثت مجلة انكليزية تصدر فى لندن الى مئة من مشاهير انكلترا فى ذلك الوقت سؤالا تطلب فيه من كل منهم أن يخصص لها عشرة من أشهر مشاهير العالم وعظمائه منذ الخليقة الى الان وقد أخذت أحد المسؤولين الحماقة وكان كافراً فأخصى بين الرجال الذين انتقاهم « يسوع المسيح » باعتبار أنه من مشاهير العالم . ولما نشرت المجلة أجوبة الجميع ، استشاط ذلك المحيى غيظاً وبعث يقول للمجلة « لماذا لم يعد المسئولون الاخرون (المسيح) من ضمن مشاهير العالم ؟ » فكان جواب التسعة والتسعين : لا يجب علينا أن نحسب المسيح فى عداد البشر الناقصين لأنه اله بل هو الذى خلق الجميع ووهبهم ما وهب من الواهب التى عززت شهرتهم ونشرت اسمهم — ثم قالوا : لو كنا نريد أن نحصى المسيح بينهم لما كتبنا على أوراقنا سوى كلمة واحدة هى (المسيح) لأنه باعتبارها انسان ظهر فى العالم لا يجاريه مخلوق لا فى الاعمال ولا فى الشهرة ولا فى العظمة فهو فوق الجميع الهاً وانساناً . أهـ

أجل . قد يتوهم الكثير أن جمل اسم يسوع بين أسماء مشاهير

العالم مما يضعف شأنه ولكن يا من تساوون المسيح بعظماء الدهر أقول لكم . أن عظماء العالم ومشاهير الوجود لم يجمعوا على أن يعظموا شخصاً بمقدار ما أجمعوا على تعظيم وتمجيد المسيح يسوع . فقد نطقوا سواء كانوا كفرة أو مؤمنين بأنه اله (ولا يستطيع أحد أن يسلك سلوكه أو يعمل الأعمال التى عمل ان لم يكن الهاً) وتحققاً لقولى هذا سأدرج فى هذا الباب كل ما وقفت عليه فى الكتب أو المحلات من أقوال العظماء بشأن المسيح ليطلع عليها من يجاهرون بانكار الشمس فى ابان الظهيرة فى يوم صفا أديه ورق نسيمه .

ولا أخفى أن ما دعاني الى الكتابة فى هذا الصدد هو أن أحد الطلبة المصريين الذين انہوا علومهم بمدارس أوروبا والذين تشبعوا بالمبادئ الكفرية قال لى يوماً بينا كنا نتكلم عن عظمة المسيح « أن فولتير أتى بتعاليم أنقى من تعاليم المسيح وعمل فى فرنسا ما لم يستطع المسيح أن يعملہ . فالديانة المسيحية اوصلت فرنسا الى أسفل درجات الانحطاط ولكنها مبيداتىء فولتير وآرائه نفضت عنها كل خرافات المسيحية التى أخرجتها » فأجبتہ « أن سر سقوط فرنسا فى العصور المظلمة لم يكن منشأة تعاليم المسيحية ولكن كانت علتہ استبداد الكهنة ، وهؤلاء عملوا ما نهاهم الانجيل عنه وما لم يأمرهم به السيد المسيح . أما تعاليم المسيح من حيث هى تعاليم فهى أفضل الشرائع التى وجدت للان بل هى التى عملت على تغيير الانسانية من صورة فاسدة الى صورة مجيدة وقد شهد بذلك أحد الكتبة المشهورين اذ قال « ان ما جاء فى الكتب المقدسة من التصريحات والبيانات يدل دلالة واضحة على أن الذين راققوا المسيح

اعتبروه الها وانه هو اعتبر نفسه الها وهكذا نظر اليه الذين كتبوا بالهام الروح . ولكن علاوة على هذه الشهادات الكتابية الواضحة فان التأثير الذي تركه يسوع فى العالم يشهد بلاهوته شهادة لا ترد « أه

الفصل الاول

شهادة العطاء للمسيح قبل ظهوره

« مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد » أع ١٤ : ١٧

لقد كانت المواعيد الالهية بظهور مصلح للعالم ومخلص له صريحة هكذا وواضحة ، وبناء عليها كان القديما يتوقنون بالصبر بجىء ذلك الانسان حتى أن الذين بلغوا الدرجة السامية من العلم ، الذين رأوا فساد العالم وعدم قدرة حكائمه على اصلاحه تحققوا ضرورة بجىء شخص قادر على اصلاحه .

فقال لى ذلك الطالب ان لم يكن فولتير أعظم من المسيح فهو على الأقل نظيره وان يسوع لا يخرج عن كونه عظيما من عطاء العالم . فقلت له إن عطاء العالم أنفسهم أجمعوا على أن المسيح هو أعظم منهم جميعا وانه أعظم من انسان فاذا تقول ؟ . فأجابتى لم أطلع على أقوال واحد منهم بهذا الشأن . ولكننى خدمة للحقيقة جمعت له طائفة كبيرة من أقوال العطاء فى شخص المسيح وقدمتها له حتى اقتنع ، وحرصا عليها وعلى قوتها لأقناع كل مكابر أردنا أن ندونها للقراء وها هى حسب الترتيب الزمنى وهى ثلاثة أقسام :-

جاء فى كتاب « الحكمة الالهية » ص ٨٩ ما نصه :

« لقد قام رجال كثيرون مشهورون بذكاء العقل ووفور الحكمة وصرفوا حياتهم فى تطلب سر سعادة البشر الحقيقية ولكن كل منهم ارتأى طريقاً للحصول عليها تخالف ما ارتآه غيره وما من طريق من تلك الطرق فاز بالغرض أو اعتنقه الشعب عامة . وبعد أن صرف أولئك الفلاسفة زمانهم فى المناظرة والمشاحنة ، وكل منهم يدعى بأنه اكتشف ذلك السر المصون وقضوا حياتهم بالتعب ضمتهم الأرض كما ضمت أسلافهم فترك الانسان فى شقاوته غير مكتف بحاله لأن الفلسفة ابانت داء قلبه المضال

(الاول) شهادة عطاء العالم للمسيح قبل ظهوره

(ثانى) شهادتهم له فى ابان ظهوره

(الثالث) شهادتهم له بعد ظهوره .

ولم ترشده الى الدواء . ويمكننا أن نستثنى من هؤلاء الفلاسفة سقراط وأفلاطون فانها لما رأيا بعين الحكمة فساد الطبيعة البشرية وعدم قدرة البشر على اصلاحها ولما تأكد عندهما احتياج الانسان الى دواء ناجح وترسخ في أذهانهما جودة خالق البشر قالوا على رؤوس الاشهاد : لا بد من اتيان معلم سماوى يرد الحق والسعادة الى النفس الانسانية « أهـ

ويظهر من المحاوراة الآتية ان افلاطون اعتقد ان الانسان لا يقدر ان يعلم حقيقة الآلهة ولا الطريق المناسبة للعبادة ما لم يأت معلم من السماء .. والمحاوراة بين سقراط والسييادس

قال سقراط : ان الصبر اجل ، وعليك ان تصطر حتى يأتى من يعلمك واجباتك للالهة وللشعر .

قال السبيادس : متى يأتى ذلك الوقت ياسقراط ومن يعلمنى .
فانى اود كثيراً ان اراه من هو ؟

قال سقراط : انه ليهتم بك ولكن ألا ترى ان هوميروس قال عن منرفا انها نزعته الظلمة عن عينى ديوميديس لكي يميز الاله من الانسان . فكذلك على هذا الاله ان ينزع الظلمة اولا من عقلك و يقرب اليك الامور التى تجعلك تميز الخير والشر .

قال السبيادس : لينزع الظلمة وكل ما يريد نزعته منى وأياً كان هذا الشخص انى مستعد أن لا أخالف له قولاً اذا كان فى وسعه أن يجعلنى أفضل مما أنا « أهـ

ومن يطلع على عقيدة اليونان القديمة ومثولوجيتها لا شك يعلم أنه وجد من يدعى بروميسه الذى تكبر وأراد أن يساوى نفسه بالآلهة فأرسلت له هذه عقابا يعذبه على جبال القوقاز فشفت اليونان عليه وأرسلت له هرقل مخلصاً فلم يفلح فقال اشيل (١) « الاله وحده هو الذى يأتى ويفتدى هذا البائس »

وقال الشاعر الخالد فرجيل (٢) فى انشودته الرابعة « سترى الانسانية جيلاً جديداً بولادة طفل ينزل من السماء و ينتسب الى الآلهة »

وقال كونفوشيوس (٣) « سمعت أن فى الجهات القريبة من آسيا سيظهر رجل صالح يعمل أعمالاً غريبة عجيبة لأنه مرسل من السماء ويكون له السلطان على الأرض (راجع كتاب الوسط الغير المتغير ترجمة ايل رموزات صحيفة ١٤٤ و ١٤٥)

بل اسمعوا أيضاً ما قاله تاسيت (١) « سينهض الشرق وسيخرج من اليهودية من يسود العالم »

(١) اشيلوس ٥٢٥ - ٥٥٦ ق . م اول شاعر راوى شهر . مبتدع فن التشخيص .
فوق سواه فى سمو الافكار

(٢) فرجيل ٧٠ - ١١٩ ب . م هوميروس الرومان ويسمى بساخر البيان وملك
الفصاحة

(٣) كونفوشيوس . فى القرن السادس ق . م اخلافة ومبادئه صارت اساس التمدن
الصينى

(٤) تاسيتوس ٥٥ - ١١٨ ق . م هو من اعظم المؤرخين . العالم مدينون له بأكثر
معارفه التاريخية لاسيا عن البريطان الاولين وعن الجرمانيين

وقال سوتيون صديق القياصرة « ان الشرق بأجمعه متشيع بفكرة أن من اليهودية سيوجد من يسود العالم »

قال هرمس في كتابه المعروف بكتاب التسعة أحجار « العدل يبطل والامة القديرة تشغب وتطلب ما ليس لها بحق أيضا والمخزون تظهر أيامه وهو آب يكون فى الارض وتتأمر الامة النجسة بالباطل هم وحكماؤهم على ملك الملوك »

وقال سولس « الملك العظيم النقى بلا دنس رب الانام الذى كل شىء بعد ضيائه . ننظره »

وقال ادنش « واحد هو فقط الضوء الغير المحسوس وهو فى كل وقت الذى يحوز الفكرين والكلمة المولود منه كاملة فى كل شىء وصناعة كل شىء »

وقال أفلاطون (١) « واحد هو الاله العلى فى العلاء الذى كلمته الغير المحسوسة حبلت بها جارية وهذا مثل الفأس المتردية بالنار وسلك فى أحشائها ويدخر العالم ويقربه لأبيه قربانا واسم الجارية العذراء »

(١) افلاطون ٤٢٩ - ٣٤٨ ق . م يقول اميرسون « افلاطون هو الفيلسوف والفيلسوف هي افلاطون »

وقال سقراط (٢) « ان العلى الاعلى يظهر فى الارض و يقيم الموتى و يظهر آياته الربانية و يرجع الى عرشه الرهيب ولا يعودون يرون الى يوم الحكم العظيم »

وقال ارسطو (٣) فى كتابه المسمى الكنوز « ان كنز الحياة عند أدوناي الاله الذى يظهر فى المسكونه اجمع و يسمع صوته الذين فى القبور و يقومون »

هذه هى شهادات اعظم فلاسفة العصور القديمة عن المسيح اوحيتها اليهم روح الاستقراء والبحث ، وبعد أن انتشرت الديانة المسيحية أخذ الفلاسفة يبحثون فيها بعين التروى فوجدوها الغاية الوحيدة التى صرفوا حياتهم هم ومن سلفهم فى التفتيش عنها ولم يجدها وما يؤيد ذلك قول اكلمنضس الاسكندرى « ان الفلسفة ارشدت اليونانيين الى المسيح كما أن التاموس ارشدت اليهود اليه »

(٢) سقراط ٤٦٩ - ٣٩٩ ق . م فيلسوف الاداب - حياته وموته وتعاليمه هى المدنية الحقيقية

(٣) ارسطو طاليس ٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م باحث فى ما حول الانسان . مؤسس الفلسفة التحليلية

تقرير بيلاطس (١) حاكم اليهودية الى الامبراطور طيباريوس قيصر (٢)
ايضاحاً للأسباب التي ادت الى الضجة في اورشليم طلباً لموت يسوع
الناصرى . وهذا ترجمة الخطاب بالحرف الواحد :-

جناب الامبراطور طيباريوس قيصر الملك المفخم
بعد تقديم ما يجب لسامى المقام من السلام والاکرام

بيلاطس البنطى والى اليهودية الى طيباريوس قيصر بخصوص صلب السيد المسيح ، ويتم
ان ينسخ صورة منه الا انه ذكر بعد مضي زمن هذا الاثر ووجوده فى مكتبة الفاتيكان
امام المستر هامان أحد الخدمه المسيحيين فشر بفائدته الجزيلة وطلب الحصول على ترجمته
فكتب الى الاستاذ الالماني يكلفه بهذا الامر وكان صديقاً للاب فريلهنسون باشمحافظة
الفاتيكان وقد حصل المستر هامان على بعثته فى مقابل دفع ٧٢ ريالاً

« وقد عثرنا على ترجمة هذا الخطاب باللغة الانجليزية فى مجلة « Zion's watch tower » فى شهر
فبراير سنة ١٨٩٢ م فاجبنا أن نتحف حضرات القراء بنقله اليهم حيث يجدون فيه شهادة لكل ما
جاء فى الاناجيل المقدسة تفصيلاً عن صلب يسوع » أ هـ (عن مجلة الكرامة السنة الثانية ص
٤٣٤)

(١) بيلاطس هو وال اقامته الحكومة الرومانية نائباً أو حاكماً على اليهودية فى سنة
٢٩ م واستمر حكمه بضع سنين الى ما بعد صعود مخلصنا وكانت قيصرية مركز ولايته ،
وكان يصعد الى اورشليم الى دار الولاية فيقتضى للشعب هناك (يو ١٨ : ٢٨)

(٢) طيباريوس قيصر كان اسمه الشام طيباريوس كلوديوس نيرون ، وكان بعد
اوغسطس (لو ٢ : ١٠ و ٣ : ١) ومع انه كان فيه بعض الاخلاق المدوحة الا انه كان
بالاجمال ظلالاً قليل الحياء . وانقضت أكثر حياة المسيح مدة حكمته ويظن انه كان مجنوناً .
وكان ابتداء ملكه سنة ١٤ ب . م وملك ٢٣ سنة

الفصل الثانى

شهادة العطاء للمسيح فى ابان ظهوره
« وكان الجميع يشهدون له » لو ٤ : ٢٢

ولد السيد المسيح فدوى خبره فى أطراف المسكونة وجعلت
الامم ترمى اليه الاحباط وأخذت العيون تجتليه شاخصة اليه ، وما هو الا
زمن قصير حتى عرفوا كل شىء . عرفوا ان هذا هو مخلص الانسان أو كما
عرفه أحد المشاهير فى ذلك الوقت « حمل الله الذى يرفع خطية العالم »

ظهر السيد المسيح فهز عروش السلاطين وخلع قلوب أصحاب
التيجان وطفق ولاية الرومان فى اليهودية يبعثون المكاتيب تلو المكاتيب عن
هذا الشخص العجيب وعن اعمال قدرته الفائقة . وقد عثرنا على ثلاثة
مكاتيب من هذا القبيل ندرجها لما فيها من الشهادة القوية الصادرة من
اعظم الرجال الوثنيين لعظمة المسيح والوهيته وقوته العجيبة وحوادثه
الغريبة

أولاً - المكتوب الاول (١) وجد فى الفاتيكان بروميه فحواه

(١) هذا المكتوب نشرته جريدة (الاجيشيان غازيت) وقد صدرته مقدمة هذا نصها :
« عثر أحد الاساتذة الالمانيين المهتمين بالاكشاف والاثار القديمة على كتاب مخطوط من

اعرض ان الحوادث التي حصلت في ولايتي في هذه الايام هي ذات شأن عظيم حتى رأيت من المناسب أن احرر لجنابكم تفصيلاتها لانه لا عجب اذا كانت تغير مستقبل امتنا على مر الايام وكر الاعوام لانه يظهر لي ان الالهة غضبت الطرف وتمثلت عنا في هذه الايام حتى اني اكاد ألعن اليوم الذي استلمت فيه زمام حكومة اليهودية عقب (فالير يوس جراتيوس) ولكن هكذا قدر وهكذا صار

وعند وصولي الى اورشليم استلمت محل القضاء وأمرت باعداد ويلة فاخرة دعوت اليها رئيس ربيع الجليل ورئيس الكهنة وحاشيته ومعيته ولكن لم يحضر أحد منهم في الميعاد المقرر للحضور فاعتبرت ذلك سبة واهانة لمركزى ومقامى . وبعد أيام قليلة تنازل جناب رئيس الكهنة وزارنى وكانت تلوح في وجهه الهيبة والخداع وادعى ان ديانتة لا تبيح ولا تميز له ولا لحاشيته الجلوس على مائدة الرومانيين واهراق السكائب معهم . فرأيت ان الاقرب الى الصواب والسياسة قبول اعتذاره ولكن تأكدت من هذه اللحظة أن هذه الامة المقهورة التابعة لنا اضمرت العدوان والمناوأة لاسيادها المسئولين عنها ويظهر لي أن مدينة اورشليم هي المدينة الوحيدة التي يصعب حكمها بخلاف باقى المدن التي استولينا عليها . فان دأب سكانها الميل الى العدوان والهيجان والاضطراب بحيث اننى دائماً فى ارق وقلق وجزع وفزع لئلا يخلعوا دثار الطاعة ويحدثوا القلاقل والفتن وليس عندى لقمعهم واخضاعهم سوى قائد مئة وشرذمة قليلة من العساكر تعد على الاصابع وطلبت من والى سورية ان يرسل لى مدداً فاخبرنى انه لا يستغنى عن نفر واحد من عساكره فانهم غير كافيين

لحماية ولايته وحفظ الامن إلا بشق النفس . واخشى أن التولع الزائد لفتح البلاد وتدويخ العباد وتوسيع مملكتنا اتساعاً فاحشاً حتى نعجز عن حمايتها والذب عنها يكون سبباً في ضعفة اركان حكومتنا الفخيمة

ومن الاشاعات التي طرقت أذنى واستلفتت أنظارى بنوع خصوصى هذه الاشاعة : — وهى أن شاباً ظهر فى الجليل يدعو الناس بسحة ولهجة شريفة الى شريعة جديدة وكنت أخشى فى مبدأ الأمر أن تكون غايته توحيد الصدور على الرومانيين واغراءهم على القيام عليهم ولكن زال ما كان يخلج فؤادى من الريب وانقشعت مخاوفى فكان يؤخذ من كلام يسوع الناصرى انه يميل الى الرومانيين أكثر من ميله الى اليهود وفى ذات يوم لما كنت ماراً فى جهة « سلوا » (١) حيث كان مجتمعاً جمهور من الناس (٢) رأيت فى بهوة الحلقة شاباً متوكئاً على شجرة يخاطب الجمهور بهنوء وسكون . فقلت بعد الاستفهام — ان هذا الشخص هو يسوع — وهو ما كنت أنتظره وأتوقعه و يلهمنى اليه وجدانى فانه كان يوجد بينه وبين السامعين بون عظيم وفرق جسيم ، فلون شعره الذهبى ولحيته اللطيفة جعلت هيئته سماوية ويظهر انه بلغ من العمر ثلاثين سنة (٣) ولم أرفى حياتى وجها صبوحة أحلى وأصفى أو أنقى من وجهه وما أعظم الفرق بينه وبين سامعيه ذوى اللحي السوداء واللون

(١) نح ٣ : ١٥ ولو ١٣ : ٤ و يرو ٩ : ٧ و ١١

(٢) لو ٦ : ١٧

(٣) لو ٣ : ٢٢

الاسمر^(١) ولما كنت لا أريد أن أشوش عليه استمرت على السير ولكن أوعزت الى كاتبى الخصوصى أن ينضم للجمهور وينصت لأقواله . واسم كاتبى هو «مانيلوس» حفيد زعيم المتأمرين الذين حلوا فى «أنروريه» فى انتظار «كانلين» وكان «مانيلوس» سابقا من اليهودية وله المام تام باللغة العبرية وأظهر الولاء والامانة لى وهو جدير بثقتى . ولما دخلت محل القضاء لقيت «مانيلوس» فقص على أقوال يسوع التى نطق بها فى «سلوا» ولم أسمع فى خطب الخطباء ولا فى مؤلفات الفلاسفة كلاما يشبه كلام المسيح وجوامع كلمه^(٢)

فسأله أحد اليهود القساة العصاة - فان أمثال هذا العاتى كثيرون فى أورشليم - وقال له : هل يجوز أن تعطى الجزية والجباية لقيصر أم لا؟ فأجاب يسوع «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»^(٣) فلذا أعطيت هذا الناصرى بسبب حكمة أقواله حرية تامة لأنه كان فى استطاعتى وامكانيى القاء القبض عليه ونفيه الى بنطس ولكن لوفعلت هذا لكان منافيا للانصاف والعدل اللذين اشتهر بهما الرومان فلم يكن هذا الرجل من المفسدين ولا من العصاة^(٤) وجعلته تحت ظل حمايتى ورعايتى وان لم أطلعه على ذلك فيجوز له أن يفعل كيف يشاء ويتكلم مع من يشاء ويجتمع مع الناس ويخاطبهم^(٥) ويختار تلاميذه بلا تضييق عليه ولا قيد^(٦) فاذا قدر (لا سمحت الالهة بوقوع هذا التشاؤم) بأن

تسخن ديانة يسوع ديانة اسلافنا وجلدونا يكون سبب دفن ديانة رومية فى الرمس وزوالها من الوجود واطلاق عنان الحرية للناس فى الديانة وأكون أنا الرجل التعميس آله ووسيلة فيما يسميه المسيحيون العناية ونسميه نحن بالمكتوب المقدر .

ولكن اطلاق الحرية ليسوع هيج اليهود الأغنياء والأقوياء لا البائسين والفقراء^(١) ولا ينكر أن يسوع كان صارما على الأغنياء الاقوياء ومن رأى أن عدم تقييد حرية الناصرى هو الحكمة السياسية مفيدة فكان يقول للكثبة والفريسيين ما نصه «يا أولاد الافاعى أنتم تشبهون القبور المبيضة»^(٢) وكان يزدري بصدقة العشارين الصادرة عن الكهرياء وأوضح لهم ان فلس الامله هو عند الله خير وأبقى وأثمن واغلى^(٣) وكانت تقام شكاوى جديدة كل يوم فى محل القضاء على وقاحة اليهود . وبلغنى انهم عزموا على الفتك به^(٤) وليست هذه المرة الاولى التى رجعت فيها اورشليم أنبياءها وبلغ عتوهم ان قالوا اذا لم تنصفهم الولاية رفعوا دعواهم الى قيصر

ومع كل هذا فوقع سلوكى فى مجلس «السناتو» فى رومية موقع الاستحسان ووعدنى بارمال المدد بعد الحرب البارتانية . وبما أنه اذا استفحل الامر وحصلت ثورة فليس فى استطاعتى اخادها لعدم وجود

(١) هذا الوصف ينطبق تمام الاتطابق على الوصف فى المكتوب الثالث الاينى

(٢) يو ٧ : ٤٦ (٣) مت ٢٢ : ١٥ - ٢٢ (٤) يو ١٩ : ٤

(٥) مت ١٠ : ٥ (٦) يو ١ : ٦ - ٣٥ - الخ

(٢) مت ٢٣ : ٢٧ ولو ١١ : ٤٤

(١) مت ٢٦ : ٣ و٤

(٤) يو ١٠ : ٣١ و٣٩

(٣) لو ٢٨ : ٢

القوة الكافية فلذلك عزمتم على اتخاذ هذه الطريقة التي تتكفل باستتباب الهدوء والسكون فى المدينة بدون تعريض الولاية للذل والاستكانة بالرضوخ لمقترحاتهم

فارسلت خطابا الى يسوع طالباً مقابلته فى محل القضاء للتحديث معه فلبى الطلب . ولا يخفى كم ان فى عروقى يجرى الدم الاسبانيولى المختلط بالدم الرومانى بحيث لا اخشى من اضطراب الجأش ، ولما وصل الناصرى كنت اتمشى فى المحكمة وظهران قدمى ربطتا بيد حديدية بارض المحكمة المبلطة بالرخام وارتعدت فرائضى كأنى مجرم مع ان الناصرى كان هادئاً ساكناً . ولما دنا منى وقف و اشار الى كأنه يقول لى ها أنا أتيت فتفرست بالانذهال والاحترام الى هذا الرجل العجيب الصورة والهيبه التى لم يكن لقرائح المصورين والنقاشين أن يأتوا بمثل هذا الشكل البديع مع تفنهم فى رسم صور الآلهة والابطال . واخيراً قلت له ولسانى متعلمم يايسوع الناصرى قد منحتك فى الثلاث سنين الماضيه حرية وافرة لتخاطب الناس وانى غير متأسف على هذا فان اقوالك هى اقوال حكيم ولا اعرف اذا كنت طالعت كتب «سقراط» أو «افلاطون» أو غيرهما ولكن الأمر الأكيد عندى هو ان خطاباتك واقوالك مشهورة بالبساطة السامية التى ترفع قدرك على اولئك الفلاسفة . وبلغ الامبراطور هذا الخبر وبما اننى النائب عنه فى الحكم على هذه الامة فانا منشرح لأنى منحتك هذه الحرية فانك جدير بها

ومع ذلك لا اخفى عنك ان اقوالك وخطاباتك احدثت لك

اعداء اقرباء الداء ولا عجب فى هذا فقد كان لسقراط اعداء ومن شدة بغضهم له جرعه غصص المنون . واعدائك يستأون منك لسبين : اولهما اقوالك وثانيهما الحرية التى خولتها لك . بل اتممنى بالاتحاد معك سرأ لنجرد العبرانيين من السلطة الطفيفة التى تركتها رومية لهم . فغاية ما اتمسسه منك ولا اقول على سبيل الامر . هو ان تزداد تبصراً واحتياطاً فى المستقبل وان لا توغر صدور اعدائك لئلا يهيجوا عليك الاوباش ويعملونى على استعمال آلات العدل

فاجاب يسوع بهدوء : يا حضرة امير الارض ان اقوالك هذه ليست صادرة من الحكمة الحقيقية . أيجوز ان تقول للتيارقف فى وسط الجبل لانه يستأصل اشجار الوادى ؟ لأجابك هذا التيار الجارف قائلاً — يجب على ان اطيع نواميس الخالق فالله الذى يعرف وحده المحل الذى يصب فيه التيار . الحق اقول لك انه قبل أن يزهر نرجس شارون يهرق دم البار . فاجيبته بروعة وقلت له لا يسفك دمك فان منزلتك عندى بالنظر الى حكمتك هى اسمى من منزلة جميع الفريسيين المتغطرسين الميالين الى الهيجان والعدوان الذين لم يعرفوا قيمة الحرية التى خولها لهم الرومان بل تألبوا على القيصر وتأمروا عليه وتوهوا ان ما اظهرناه لهم من اللين هو خوف ولم يدر هؤلاء الاسافل الوقحاء انه قد يلبس احياناً ذئب الاحراش جلد الغنم . وعلى كل حال سأحيك من مكائدهم ، وسراى عدالتى مفتوحة لك تلتجىء اليها فى أى وقت شئت

فأطرق يسوع برأسه بلا مبالاة ولا اهتمام وقال بلطف وتبسم الهى — متى حل يوم ابن الانسان لا يكون له ملجأ فى الارض ولا تحت

السماء وان ملجأ البار هو هناك . قال هذا مشيراً الى السموات وانه ينبغي ان يتم ما هو مكتوب في كتب الأنبياء (١)

فأجبت بتؤدة وقلت له : أيها الشاب انك تلزمني على تغيير طلي الى أمر فان سلامة الولاية التي فوض لي الاهتمام بشأنها تستلزم ذلك والواجب عليك ان تراعى زيادة الاعتدال في خطاباتك واتبع أوامري ولا تنقضها ولترافقك السعادة وأودعك في أمان الله

فأجاب يسوع وقال — يا أمير الارض اننى لم أت مجرب الى هذا العالم بل أتيت بسلام وعجبة . وولدت في اليوم الذي أعطى فيه اوغسطس قيصر سلاما للعالم الروماني ، فالاضطهاد لا يصدر مني بل من غيري وسألقيه طاعة لارادة أبي الذي أراني الطريق (٢) فإذا اكظمت تبصرك النبيوى فليس في طاقتك ولا في استطاعتك أن تحجز الذبيحة عن الفداء

قال هذا واختفى كظل لامع خلف ستارة السراى فالتجأ اليهود أعداء يسوع الى هيروودس الذي كان والياً على الجليل وطلبوا منه أن ينقث انتقامه على الناصرى . فلو فوض الأمر لهيروودس لأمر بقتل المسيح حالا . ولكن مع تبايه بمقامه الملوكى كان يخشى من الاقدام على عمل يحط نفوذه وشوكته في مجلس السناتو

قال بيلاطس : ففي ذات يوم زارنى هيروودس في محل الولاية ولما

عزم على الانصراف بعد أحاديث تافهة استفهم منى عما أراه بخصوص الناصرى فأجبت قائلاً يظهر لى أن يسوع هو من كبار الفلاسفة الذى يندر ظهور مثله فى الأمم العظيمة وأن تعاليمه لا تمس حرمة الدين مطلقاً وأن غاية رومية أن تطلق له عنان الحرية فى الخطابة فان سلوكه وتصرفه يجعلان له حقاً فى ذلك . فتبسم هيروودس تبسم الحقد والحثب وانصرف إلى حال سبيله بعد أن سلم على سلام متهمكم

وبما أنه قرب عيد اليهود العظيم كان غرض أئمة ديانة اليهود انتهاز فرصة ضجة ورجة وهرج ومرج الشعب التى كانوا دائماً يظهرونها فى احتفالات الفصح لدرك مآربهم وكانت المدينة غاصة برعاع اليهود أصحاب الشغب والاضطراب الذين يصيحون طالبين قتل الناصرى وافادنى رسلى بأن خزينة الهيكل صرفت على اغراء القوم على الهياج (١) والخطب جسيم حتى تناولوا على قائد مئة روماني بالشم وطلبت من والى سورية أن يرسل الى مائة عسكري من المشاة ومائة أخرى من العساكر الخيالة فلم يسعنى فرأيت نفسى فريداً بشزومة من العساكر يعدون على الأصابع فى وسط مدينة عاصية وليس فى استطاعتى تسكين هذا الاضطراب واخذ نيران الشغب ولم يبق لى سبيل سوى ترك الأمور تجرى فى مجارها فألقى الأوباش الهائجون القبض على يسوع ولما آتسوا عدم الخوف من الحكومة اذ ظنوا مع زعمائهم اننى جزع وفتح من ثورتهم تمادوا على الصياح قائلين : اصلبه اصلبه (٢)

(١) مت ٢٦ : ٦٠ ، ٢٧ و ٢٠ : ٢٨ و ١١ : ١٥

(٢) مت ٢٧ : ٢٣ و يوح ١٩ : ٦

(٢) يوح ١٨ : ١١

(١) لوق ٢١ : ١٨ و ٣١ : ١٩ و ٣٠

وقد تحالف وتآمر في هذا الوقت ثلاثة أحزاب أقوياء وبيان ذلك ان الهيروديسيين اتحدوا مع الصدوقيين على احداث الشعب والاضطراب لسببين أولهما بغضهم للناصرى وثانيها تولعهم لخلق نير رومية والتحرر من سلطانها فلم يفتتروا لى دخولى مدينتهم المقدسة بالبنادير والأعلام المرسوم عليها صورة امبراطور رومية وقد وقعت فى هذا الخفأ المشنوم جهلا منى عبادتهم فاستبشعوا واستعظموا هذا الأمر وعدوه انتهاكاً لحرمة الدين ، والأمر الثانى الذى أوغر صدورهم وزاد حقدهم وكيدهم هو أنسى كنت اشرت بصرف جانب من خزينة الهيكل فى تشييد أبنية ذات منافع عمومية فنبذوا هذه الاشارة ظهريا

وأيضاً كان الفريسيون أعداء يسوع الالءاء ولم يكثرثوا بحكومتنا وتجرعوا غصص التوبيخات والتنديدات الصارمة التى رجهم بها الناصرى مدة ثلاث سنين حيثما توجه (١) ولما كانوا على جانب عظيم من النذالة والجبن وخور العزيمة ولجوا باشتياق وتولع ابواب مشاحنات الهيروديسيين والصدوقيين وزيادة على هذه الأحزاب الثلاثة تعين على ان اكافح الأوباش والرعاع الجامحين فى الغفوايات الميالين الى الانحياز وإلى الشورات والفتن — لأنهم يستفيدون من الفوضى والاختلال الناشئين عن هذه الفترة

فساقوا يسوع الى ان اتوا به امام رئيس الكهنة الذى كان وقتئذ

قيافا (١) فابدى رئيس الكهنة عملا دل على خضوعه السخرى فانه لو كان خاضعا لنا خضوعا حقيقيا وممثلا امثالا صارما لما حكم على يسوع بالموت فارسل الى لأنطق بالحكم عليه فاجبته قائلاً — بما أن يسوع كان جليليا فهذه القضية هى من اختصاصات هيرودس وبناء عليه أمرت بارسالة الى الجليل . فتظاهر رئيس الربع — هذا الخداع المكار محتجا باحترامه لمقامى بصفة كونى وكيل القيصر وفوض امر هذا الرجل لى وفى الحال صارت هيئة سراى كهية قلعة محصورة وكان يزداد عدد الثائرين كل لحظة وغصت أورشليم بالافواج الكثيرة الآتية عن جبال الناصرة وظهر لى أن كل اليهودية انسكبت فى أورشليم انسكابا وكنت اقترنت بزوجة من الغال ادعت ان لها علما بالمستقبل فبكت والقت بنفسها عند قدمى وقالت لى « احترس ولا تمس هذا الرجل لأنه قدوس ، فرأيته البارحة فى رؤيا الليل ماشيا على الماء وطائرا على اجنحة الرياح وكلم العاصفة وأسماك البحيرة وكان الكل مطيعا له ممثلا لأمره وهوذا سيل جبل قدرون جاريا بالدم وتمائيل القيصر ملاءة باقذار (جيمونيه) وأعمدة الانتزيم سقطت ومترت الشمس حدادا كالغذارى الباكيات على القبر « فيابيلاطس اذ لم تنصت لانتقاس زوجتك لابد أن يلاقيك الشروانى أخشى لعنة السناتو الرومانى وبأس القيصر»

وفى هذه الاثناء كادت سلام الرخام أن تسقط من ثقل الامواج

(١) من يطلع على ختام الاناجيل الاربعة يرى اتفاقا تاما ومطابقة كلية لهذا المكتوب فلتراجع اتاماً للفائدة

الكثيرة فأتوا ثانية بالناصرى الى فتوجهت الى كرسى القضاء يتبعنى
 حرسى وسألت من المتجمهرين بصوت صارم عما يطلبونه . فأجابوا قائلين
 نطلب موت الناصرى . فقلت لهم وأى ذنب اقترفه فأجابوا قائلين انه
 جدف وتنبأ عن خراب الهيكل وقال انه ابن الله وأنه الماسيا ملك اليهود
 فقلت لهم ان القانون لم يصدر عقابا بالموت على مثل هذه الذنوب . فصاح
 هؤلاء الجماهير العتاة القساة قائلين - اصلبه اصلبه - وكاد صياح هذه
 الجماهير الهائجة الماثجة ان يززع اركان القصر وكان فى وسط هذه
 الجماهير الكثيرة شخص ساكن هادىء وهذا الشخص هو الناصرى .
 وبعد أن بذلت جهدى مرارا عديدة لوقيته وحايته من مضطهديه القساة
 المجردين من الشفقة والرحمة لم يجد ذلك نفعا فاتخذت هذه الطريقة التى
 ظهرت لى انها الطريقة الوحيدة لانقاذ حياته ، وهى أننى أمرت بجلده ثم
 طليت طشتا وغسلت يدى امام الجمهور مشيراً بذلك الى استهجان عملهم
 ولكن لم يأت ذلك بشمرة ولا فائدة فان نفوس أولئك القوم ظمآنة لقتله

وكثيراً ما رأيت فى ثوراتنا الداخلية هيجان الجماهير واحقادهم
 ولكنها ليست بشيء بالنسبة لما رأيته من اليهود فى هذه الحالة حتى يمكن
 أن يقال انه قد اجتمعت جميع الارواح الجهنمية فى اورشليم وكان يلوح
 لى أن هؤلاء الجماهير غير ماشين على الارض بل محمولين على الامواج
 المتلاطمة من ابواب محل القضاء لغاية جبل صهيون يعجون وبصيحون
 ويجأرون ويزأرون مما لم يسمع بمثله فى متن (البانوية) أو فى ميدان
 رومية

فاخذ النهاريعتم ويظلم بالتدريج مثل شفق الشتاء وكان مثله

مثل الظلام الذى شوهد عند موت يوليوس قيصر العظيم الذى كان أيضاً
 فى ١٥ مارس . أما من جهتى أنا والى هذه البلاد العاصية العاتية فكنت
 متوكئاً على عمود من أعمدة قصرى شاخصاً من الظلام المخيف الى
 زبانية العذاب يجذبون الناصرى البرىء ليجرعه غصص المنون . وخلا
 جميع الجهات التى حولى فان اورشليم تقيأت جميع الساكنين فيها الى بوابة
 الجنازة التى تؤدى الى جيمونيكة واكتفتنى هيئة الخراب والتحسر
 وانضم حرسى الى الخيالة وقائد المئة لظهار ظل القوة باذلين الجهد لحفظ
 النظام فسرت وحيداً منفرداً . وناجاني فؤادى بان هذه الامور الحاصلة
 الآن هى من متعلقات الآلهة وليست من متعلقات انسان وسمع صياح
 شديد وصراخ عال من الجليئة محمولا على الرياح منبئاً بكرب لم يطرق
 أذن انسان مثله . فنزلت سحب مظلمة معتمة على اجنحة الهيكل
 واستقرت على المدينة وكأنها سترتها بجباب وكانت العلامات التى
 ظهرت فى السموات والارض هائلة مخيفة حتى صاح ديوناسيوس
 الارىوباغى قائلاً (اما أن يكون خالق الطبيعة متألم أو ان العالم آخذ فى
 التمزق) (١)

وفى الساعة الاولى من الليل خلعت ردائى ونزلت الى المدينة
 وتوجهت الى بوابة الجليئة وكان قد قضى الامر وتمت الذبيحة وعادت
 الجماهير وان كانت هائجة ماثجة الا انه كان يلوح على وجوههم الكمد
 واليأس واشتغال البال . لانه اعتراهم التحسر والفرع مما شاهدوه وكذلك

(١) لع ١٧ : ٢٤

رأيت فرقتي الرومانية مارة وعليها الاكثاب وغطى رافع اللواء صورة النسرة (وهى علامة وشارة الرومانيين التي تصور على اعلامهم) علامة على الحداد والنغم وكان بعض العساكر يمسون بعض الفاظ غريبة لم افهم معناها وكان البعض الآخر يرون عجائب وغرائب تكاد ان تشبه الغرائب التي كثيراً ما أصابت الرومانيين بارادة الآلهة، وكانت تقف أحياناً زمر من الرجال والنساء ساكتين باهتين موجّهين أنظارهم الى جبل الجلجثة منتظرين طرؤ أمر عجيب آخر

فرجعت الى كرسي القضاء كاسف البال كثير التفكير والبلبال ولما طلعت على السلام التي كانت لا تزال ملوثة بدم الناصري شاهدت رجلاً هزماً في حالة الاستغاثة والتوسل وكان خلفه جملة من النساء باكيات فالقى نفسه عند قدمي وبكى بكاء مرأً. ولعمري انه يوجعني ويؤلنى رؤية رجل هرم يبكي فقلت له بلطف يا أبى من أنت وما هي طلبتك فاجاب قائلاً - أنا يوسف من ارماتاً أتيت متعطفاً حضرتكم وأنا جاث على ركبتى ان تأذن لى بدفن يسوع الناصري

فقلت له قد اجبت طلبك . وفي الحال أمرت مانليوس أن يأخذ بعض عساكر معه ليلاحظ و يباشر دفنه لئلا يتعرض له أحد

وبعد أيام قليلة وجد القبر فارغاً واذاع تلاميذ يسوع فى اطراف البلاد واكتافها ان يسوع قام من الاموات كما كان تنبأ

فبقى على القيام بهذا الواجب وهو ابلاغ جناب الامبراطور هذه

الحوادث المكدره وبناء عليه بادرت بتحرير هذا فى الليلة التي عقبته هذه المصيبة المفجعة . ولم انته من تحرير هذا البلاغ الا و بزغ نور النهار وفى هذا الوقت طرقت أذنى صوت امير يضرب نغمة (ديانا) فوجهت نظرى نحو بوابة قيصر فشاهدت فرقة من العساكر وسمعت من على بعد ابواقاً تضرب سلام القيصر فاتفح لى انها المدد الذي وعدتني الحكومة الرومانية بأرساله و يبلغ عدده نحو الفى نفر من نخبة العساكر الذين مشوا طول الليل ليتيسر لهم الوصول بسرعة . فصرخت فاركاً يدي : قد قدر بوقوع هذا الاثم العظيم ولا راد للقضاء : ولو وصلت العساكر البارحة لما حصل ما حصل ولكن هل نقول أن العساكر وصلت اليوم لمنع حدوث فعلة البارحة . فتباً لهذا الدهر الغدار الذي يعيث بأحوال البشر، ولعمري لقد صدق ما صرح به الناصري وهو معلق على الصليب « قد اكمل »

ثانياً (المكتوب الثانى) (١) وهو صورة الحكم الذى نطق به

(١) جاء فى جريدة التابليت ما نصه : قد عثر مكاتبنا المشتغل باستقصاء الباحث والتتبيح عنها على صورة صحيحة من الحكم الذى أصدره يلاطس البنطى بالقضاء على المسيح بالموت، وجدها فى جريدة الكولينش زيتونغ ولكونها بما تم كل مسيحي للوقوف عليها لما فيها من عظم الفائدة لضمها نص الحكم على المخلص الذى هو أهم حادثة جاءت فى متون تواريخ حوادث العالم آتربنا درجها مشفوعة بالملاحظات التى جمعها جريدة الهدرو الفرنساوية . وهاك ما قالته الجريدة التليانية تعليقا على هذا المكتوب : - ان هذا الحكم منقوش على لوح من النحاس الاصفر باللغة العبرانية وعلى جانبيه هذه الكلمات (قد ارسل لكل سبط لوح مثل هذا)

« اما اكتشاف هذا اللوح فكان فى سنة ١٢٨٠ م بمدينة اكويلان من اعمال نابولى أثناء البحث عن الاثار الرومانية وبقى فيها الى ان وجده التدوين العلميون الذين

بيلاطس البنطى والى ولاية الجليل على يسوع الناصرى بالموت صلباً
وهالك نصه حرفاً بحرف :-

(فى السنة السابعة عشر من حكم الامبراطور طيباريوس الموافق
لليوم الخامس والعشرين من شهر آزار (مارس) بمدينة اورشليم المقدسة
فى عهد الحبرين حنان وقيافا - حكم بيلاطس البنطى والى ولاية
الجليل الجالس للقضاء فى دار ندوة مجمع البروتورين على يسوع
الناصرى بالموت صلباً بين لصين بناء على الشهادات الكثيرة البينة
المقدمة من الشعب المثبتة أن يسوع الناصرى (أولاً) أنه مظل يسوق
الناس الى الضلال (ثانياً) أنه يغرى الناس على الشغب والهياج
(ثالثاً) انه عدو للناموس (رابعاً) أنه يدعونفسه ابن الله (خامساً) انه
يدعو نفسه ملك اسرائيل (سادساً) أنه دخل الهيكل ومعه جم غفير من
الناس حاملين سعف النخل

فلهذا يأمر بيلاطس البنطى كونيتوس كرنيليوس قائد المئة

راقبوا الجيش الفرنساوى حين انتشبت الحرب فى جنوب ايطاليا محظفاً عليها فى علبة من
الخشب الأبنوس فى خزانة الامتعة الكنائسية بدير رهبان الكارثوزيان القريب من نابولى ثم
نقل هذا الاثر للجليل الى كنيسة كازيرنا وبقى فيها الى أن تصرح لرهبان دير
الكارثوزيان بنناء على طلبهم بحفظه عندهم جزاء لهم على الضحايا التى بذلوها للجيش
الفرنساوى فى ايطاليا وكانت ترجمته الى اللغة الفرنساوية حرفاً بحرف بمعرفة اعضاء اللجنة
العلمية وتحصل زينون على رسم هذا اللوح المذكور بألفين وثماتائة وتسعين فرنكاً . ومن
مطابقة الاسباب الواردة فى هذا الحكم لما هو وارد فى الانجيل يستدل على عدم وجود شبهة
تاريخية تنفى صحة هذا اللوح « أ هـ

الاولى ان يأتى يسوع المسيح الى المحل المعد لقتله وعليه أيضاً أن يمنع كل
من يتعدى لتنفيذ هذا الحكم فقيراً كان أو غنياً . وهالك أسماء الشهود
الذين وقعوا على تنفيذ هذا الحكم على يسوع المسيح .. أولاً - دانيال
روبانى فريسى . ثانياً - يوحنا زور بابل . ثالثاً - روفائيل روبانى .
رابعاً - كابيت . وأن يؤتى به الى خارج مدينة اورشليم من باب
الطورانى (أهـ)

(تذييل) وجد تعليق على حكم بيلاطس على يسوع وهو صورة
ما قاله الذين تشاوروا على السيد المسيح فى مجلس الشورى . وهالك أسماء
الشهود بما فيهم بيلاطس البنطى وقيافا رئيس الكهنة :-

أولاً - يورام قال . من هو هذا العاصى الذى يستحق الموت
حسب الشريعة ؟

ثانياً - سمعان الابرص قال . لماذا يحكم بالموت على هذا
البار ؟

ثالثاً - سارياس قال . انزعوا منه الحياة انزعوه من الدنيا

رابعاً - ديارابياس قال . حيث انه هيج الشعب فيستحق
الموت .

خامساً - تيراس قال . فليطرح فى هاوية الشقاء

سادساً - ابتوليه قال . لماذا كل هذه المدة المستطيلة لم نحكم

عليه بالموت ؟

- سابعاً - يوشافاط قال . اتركوه فى السجن مؤبداً

ثامننا - سابس قال . ان كان بارا أو لم يكن فمستحق كأس الموت حيث انه لم يحفظ شريعة آبائنا

تاسعا - بيلاطس البنطي قال . أنتى برىء من دم هذا البار (١)
عاشراً - ساميشيل قال . فلنقاصه حتى فى المستقبل لا يكرز

ضدنا

حادى عشر - اتياس قال . لا يجب الحكم أبدا على أحد بالموت

ما لم نسمع أقواله

ثانى عشر - نيقوديموس قال . ان شريعتنا لا تصرح بالحكم على أحدا لم تؤخذ أولا أقواله والاخبار عما فعل (٢)

ثالث عشر - فوطيفار قال . حيث ان هذا الانسان بصفته خداع

فليطرد من المدينة

رابع عشر - رسموفين قال . ما فائدة الشريعة ان لم تحفظ ؟

خامس عشر - اهيارين قال . ان كان بارا أو لم يكن حيث أنه

هيج الشعب بكرارته فمستحق العقاب الشديد

سادس عشر - ريفاد قال . اجعلوه أولا يعترف بذنبه ومن ثم

عاقبه

سابع عشر - يوسف الرامى قال . ان لم يكن أحد يدافع عن هذا

البار فعار علينا

ثامن عشر - سوباط قال . الشرائع لا تحكم على أحد بالموت

بدون سبب أكيد

تاسع عشر - ميزا قال . ان كان باراً فلنسمع منه وان كان مجرماً

فلنظرده

عشرون - رجبعام قال . نحن لنا شريعة وبوجوبها يجب أن يموت

حادى وعشرون - قيافا رئيس الكهنة لليهود قد أنبأ قاتلاً - لا

تسمعوا منه شيئاً ولا تعتبروه والاجدر بكم أن يموت انسان واحد عن

الشعب من أن تهلك أمه بأسرها . (انتهى)

ثالثاً - المكتوب الثالث هو صورة خطاب منسوب الى بوبليوس

لنتولس يقال انه كان معاصراً لبيلاطس وأنه كتب الى السناتس

الرومانى ما نصه : - (١)

« أيها الملك بما أنسى فهمت أنك ترغب معرفة ما أخبرك به اذ

وجد فى وقتنا هذا الرجل يعيش عيشة فاضلة يدعونه رسول الفضيلة

وتلاميذه يقولون أنه ابن الله خالق السماء والارض وكل ما يوجد فيها .

بالحقيقة أن كل يوم نسمع أمورا عجيبة عن يسوع هذا فيقيم الموتى ويشفى

السقاء بكلمة واحدة وهو معتدل القامة وجليل المنظر جداً ووجهه ذو هيبه

هكذا حتى أن الذين ينظرون اليه يشعرون بالغرام لأن يحبوه ويخافوه ،

وشعر رأسه نازل لحد أذنيه منسدل على كتفيه ، وهو يلون التراب انما يفوق

عليه ضياء وفى وسط جبينه غرة كعادة الناصرين . أما جبينه فبسوط

كثير الصفاوة ووجهه ليس فيه تجعد وعلامة البتة . وفخذهاه بغاية

الاعتدال . وأنفه وفه لا يعبران بمخس فى أحد ومنظره يفيض خشوعاً

(١) الكتاب المذكور وجد فى خزانة الأمير شراونى من ايطاليا . أه

(٢) يو ١ : ٢٥ و ٨ : ٥٠ و ٩

(١) مت ٢٧ : ٢٤

وفرحا وعيناه كأشعة الشمس ولا يقدر أحد أن يمدق بنظره اليه من كثرة الضياء . واذا وبخ أرباب وإذا أنصح أبكى ويجعل الجميع يبكونه لأنه ذو سماحة وهيبة . ويقولون انه لم ينظر قط ضاحكا بل باكيا . وذراعه ويداها زائدة الجمال . أما بالاجتماعات فيرضى كثيرين ولكن ينظر اليهم نادراً وعند وجوده بينهم يجلس بغاية التهذيب ففى رؤيته وشكله هو أجمل انسان يمكن تخيله ومشابه بمقدار عظيم لأمه التى هى أجل فتاة يمكن مشاهدتها أو تشاهد قط بهذه الجهات

فيا أيها الملك أن رغب جلالتكم أن تراه فاخبرنى لكى لا أتقاعد عن ارساله اليك سرىعا . لكنه بالعلوم قد أذهل مدينة أورشليم بأجمعها فيعرف كافة العلوم من غير أن يتعلم . وتارة يمشى حافى القدمين مكشوف الرأس كمجنون وكثيرون عند نظرهم اليه يضحكون منه . أما فى حضوره أو التكلّم معه فانه يهرب ويذهل ويقولون أنه لم يسمع قط عن رجل هكذا فى الجهات وبالْحَقِيقَة مثل ما يقول لى اليهود انهم لم يسمعو قط مشورات حكمة من أحد كمثل ما يعلم يسوع هكذا ، وكثيرون آخرون يتكلمون ويشتكون لى منه قائلين انه مضاد شريعة عظمتكم وترانى معنفا جداً من هؤلاء اليهود الاشرار ويقولون أنه ما أغاظ أحداً قط بل كافة الذين عرفوه وأخبرونى عنه يقولون انه حصل لهم منه انعامات وصحة كثيرة وفى كل الامور انسى مستعد لطاعتك ومن ثم كل ما تأمر به جلالتكم يجرى عاجلا » انتهى

(٤) شهادة يوسيفوس (١) المؤرخ اليهودى الشهر الذى كان

معاصرا للرسول وقد شاهد سقوط اورشليم فى حصارها الاخير كما أنبأ السيد المسيح . فهذا كتب فى تاريخه المعروف كلمة عن السيد المسيح خالية من شوائب الاغراض والغايات قال :-

« وكان أيضا فى هذا الوقت رجل حكيم اسمه يسوع . ان كان جائزاً أن يدعى انسانا . وكان صانعا عجائب كثيرة ومعلما للذين أرادوا أن يتعلموا الحق وكان له تلاميذ كثيرون من اليهود والامم . هو المسيح الذى اشتكى عليه رؤساؤنا وأكابر أمتنا ، وسلمه بيلاطس البنطى للصلب ومع هذا كله فالذين اتبعوه من البداية لم يتركوه قط وقد نظر اليه حيا بعد صلبه بثلاثة أيام كما كان قد تنبأ بعض الانبياء وصنع معجزات أخرى كثيرة ولم يزل الى يومنا هذا بعض الناس يدعون مسيحيين ويعترفون به رئيسا لهم » أهـ

فيتضح مما تقدم أن كثيرين من معاصرى السيد المسيح — حتى من أعدائه — قد شهدوا له وأقروا بألوهية وبعظمة أعماله واعترفوا بأنه أعظم من انسان وهم بيلاطس والى اليهودية و يورام وامتياس ونيقوديموس ويوسف الرامى وسوبات من رؤساء وكهنة اليهود وبوبليوس لنتولس أحد ولاة الرومان ويوسيفوس المؤرخ اليهودى المشهور وشهادة هؤلاء تعد معتبرة للغاية لأنهم « ١ » من أكابر الامم وقتئذ « ٢ » لأنهم كانوا معاصرين له « ٣ » لأن منهم كثيرين كانوا يبغضونه ولكنهم اعترفوا رغما عنهم بصلاحيته وبرارته

(١) راجع كتاب « النور الباهر فى الدليل الى الكتاب الطاهر » للمؤلف

الفصل الثالث

شهادة العطاء للمسيح بعد ظهوره

« الأعمال التى أنا أعلمها باسم أبى هى تشهد لى » يو ١٠ :

٢٦

صعد السيد المسيح الى سمائه وترك على الارض آثار سلوكه المقدسة وتعاليمه الصالحة فحدثت انقلابا عظيما فى العالم ، فى الآداب والعبادات حتى انتقل العالم من حالة ملوؤها الشر والفساد الى حالة كلها قداسة وبر

ومع أن رئيس المسيحية مات كأحقر الناس غير أن دينه امتد وانتشر فى كافة أصقاع المسكونة

هذا ما كان مدعاة لدهشة كثيرين من عطاء هذا العالم فأروا أنفسهم وحوهم الامم تشدهم والقوات تعززهم غير قادرين على مجارة ذلك الناصرى البسيط ومع أنه كان مجرداً من كل سلطة وخلوا من كل سلاح وهم ممدودون بالقوات المختلفة غير أن الفرق عظيم بينه وبينهم ، وأن مراكزهم تلقاء مركزه ليست الا كقطعة من بحر لذلك اعترفوا رغماً عنهم وأقروا وهم يصرون على أسنانهم بعظمة ذاك البار الذى أنار العالم بشمس

تعاليمه وأسر القلوب بسلامه محبته وما نحن ذاكرين للقراء بعض أقوال أشهر العطاء فى هذا الصدد :-

١ - شهادة نابليون (١) لما كان نابليون امبراطور فرنسا العظيم فى النفسى فى جزيرة القديسة هيلانة سأل صديقه مونتولون عن هو المسيح ؟ فلم يستطع أن يجبه . وكان الامبراطور يكثر فى منفاه من الكلام عن الامور الدينية وفى ذات يوم تكلم عن لاهوت المسيح فقال له الجنرال برتران الذى كان غير مؤمن ، وكان يكدر نابليون بالاستخفاف بالأمور الدينية :

«مولاي . اننى لا أدرك كيف أن رجلا عظيما مثلك يؤمن بأن الخالق الاعظم أظهر نفسه للبشر فى جسد انسان وله جسم وفم وعينان فليكن المسيح مهما شئت . أى قل انه أحذق الناس وقلبه أظهر القلوب ومبدع أشهر وأصفى الشرائع وأعظم رجل خلق على الأرض من كل جهة فلا أعارض . ولكنه لم يكن غير بشر علم تلاميذه وأضل البسطاء كما فعل أورافوس وكونفوشيوس وبرهما (٢) وقد جعل نفسه معبوداً لأن سلفاهه اليسيس وأوزيريس (٣) وجوبتير (٤) جعلوا أنفسهم بكبرياء معبودات . وامتيازه فى أزمانه كامتياز المعبودات الوثنية وأبطال القدماء . وما فعله من جر الناس وراءه وتغير حالة الدنيا انما هو ناشىء عن قوة العقل وتأثير نفس قادرة على التسلط كما تسلط كثيرون فى الدنيا بفتوحاتهم كالاسكندر وقيصر ومثلك أنت »

(١) عن كتاب «تاريخ فرنسا الحديث» (٢) آله الصينيين والهنود
(٣) من آله المصريين (٤) معبود الرومان

وتحلها أوفق حل وانجيله وظهوره ومملكته الروحية وتغلب تعاليمه على الدهور والامم — أقول ان هذه اسرار لا أقدر أن أفهم على حقيقتها فانها تجعلنى فى حيرة لا أستطيع التخلص منها فهى سر لا أقدر انكره ولا ان اوضحه ولا أرى بذلك شيئاً بشرياً وكلما اقتربت منه وأطلت البحث عنه يزداد ارتفاع هذه الامور عنى وتبقى عظيمة وعظمتها عالية . ودينه الثام الحق لا ريب فى انه غير بشرى ، فترى فيه شيئاً اسلسياً عميقاً جاء بتعاليم واقوال لم تكن معلومة

« ولم يستعريسوع شيئاً من معارفنا وعلومنا ولا نرى فيها ما يشابه تصرفه وحياته ولم يكن فيلسوفاً لانه تقدم بالمعجزات . وعنده التلاميذ منذ البداية وألقى الايمان به فى قلوبهم بما يؤثر فيها تأثيراً روحياً ولم يلزمهم ان يقوموا لدروس ابتدائية ولا أن يتعلموا العلوم فديانته كلها مبنية على الايمان

« والواقع ان العلوم الفلسفية لا تجدى نفعاً للخلاص ولهذا جاء السيد المسيح الى الارض لايظهر أسمى اسرار الروح ونواميسها ولم يكن لتعاليمه علاقة الا بالروح وقد جاءها بانجيله والروح تكفيه ولم تكن للروح أهمية قبله فان السيادة فى الدنيا كانت للعادة والزمان وقد رجع كل شىء الى النظام بصوته وصار المحل الثانى للعلم والفلسفة وقد فازت الروح بالحصول على سيادتها وسقط كل العلم كبناء تهدم امام كلمة واحدة وهى الايمان فما أعظم السيد الذى يقدر ان يأتى بانقلاب عظيم كهذا وما انفذ كلمته فما هو ياترى السلطان الذى الزمنى ان اصلى له وقد

ألزم الناس الايمان به ولم يتمكن انسان ان ينقض كلامه أولاً لان فى الانجيل اصفى الاداب ولان التعاليم الموضوعة فيه كاسرار انما هى اعلان الحق المتعلق بما هو موجود حيث لا تقدر العين ان ترى ولا العقل ان يدرك فمن ياترى هو الخالى من الاحساس الذى يكذب اخبار السائح الجسور الذى لم يتجاسر غيره الصعود الى القمم الثلجية ويخبر بعجائبها

« فالمسيح هو السائح الجسور والانسان يقدر ان يبقى خالياً من الايمان غير انه ما من أحد يتجرأ أن يقول لهذا ليس هو كذلك وفضلاً عما تقدم استشر الفلاسفة عن هذه التعاليم السرية المتعلقة بالانسان والدين فاذا يقولون ؟ واين هو العاقل الذى تعلم شيئاً من الطبيعة القديمة أو الحديثة حال كونها ليست الا آراء باطلة لا علاقة لها بمعيشتنا وامياننا

« ولا ريب فى ان الانسان يرى بقوة الفكر مفتاح فلسفة سقراط وأفلاطون على انه لا يدرك ذلك ما لم يكن طبيعياً وبعد طول الدرس سنين عديدة ، على ان ادراك المسيحية يتم بالقلب والايمان لانها ليست باوهام ولا هى تعليم طبيعى ولكنها قوانين ومبادئ سامية تسمو بالانسان وتعاونه على حل جميع مشكلات الحياة وفى الكتاب المقدس اخبار وقائع ورجال تاريخيين عرفوا بجلاء ووضوح احوال الزمان والابدية وليس فى كتاب دين آخر ما يماثل ذلك

« فاذا كان الدين الحقيقى يعذر الانسان اذا خدع به ولا يلزم فان كل شىء فيه عظيم يستحق أن ينسب الى الله تعالى وقد فتشت التواريخ دون أن أجدها فيها شيئاً ليسوع المسيح والانجيل فلا أرى فى

التاريخ ولا الانسانية ولا العصور ولا الطبيعة شيئاً اقدر اقباله او ان افسره به فان كل شىء فيه خارق العادة وكلما تأملت فى الانجيل يزيد تأكيدى ان كل شىء فيه يفوق الحوادث والعقل البشرى والذين خلت قلوبهم من التقوى لم يتجاسروا ان ينكروا علو الانجيل الذى يوجد فيهم اعتباراً اجبارياً

« وما أعظم السعادة التى يحصل عليها الذين يعتقدون بصحته وما أكبر العجائب المسطورة فيه فهو كتاب مفرد يعيد العقل فيه جلالاً أديبا لم يكن معروفاً، ومعرفته بالخائق تدل الخليفة عليها فن ياترى غير الله تعالى يقدر ان يأتي بمثل ذلك بكمال اصلى خالص؟

« ولم يكن للمسيح غير تلاميذ قليلين فحكم عليه بالقتل فمات بغضب الكهنة واحتقار الامة حتى ان تلاميذه تركوه وانكروه وقال انهم يأخذوننى قريبا ويصلبونى واترك العالم . وأهم تلاميذى ينكرنى فى بداية قصاصى فأترك للاشراق، وبعد ذلك يحصل العدل الالهى على كفايته وتمحى الآثام الاصلية بالآمى ويرجع اتصال الانسان بالله ويكون موتى حياة تلاميذى ويصبون دونى مما هم وانا معهم لأنهم يشاهدوننى مرتفعا ثانية وسأصعد الى السماء وأرسل اليهم من السماء روحاً يعلمهم وروح الصليب يساعدهم على فهم انجيلى فيعتقدوا به ويعظوا به ويجلبوا العالم الى الايمان

« فهذا الوعد الغريب سماه بولس (حماقة الصليب) هونبوة رجل صلب بتعماسة تم حرفياً وكيفية اتمامه ربما كانت اوسع دائرة من

الوعد نفسه ولم يفصل ذلك فى يوم ولا فى معركة فهل هذه حياة رجل؟ الجواب . لانها حرب استمرت ٣٠٠ سنة بدأ الرسل بها وقام بها بعدهم خلفاؤهم واجيال نصرانية متتابعة وفى هذه الحرب اصطف جميع الملوك وكل قوات العالم فى جهة . ولا ارى جيشاً فى الجهة المقابلة ولكنى بالعكس ارى جهادا سرياً وافراداً متفرقين فى جميع اقطار الدنيا وليس لهم عصبية غير وحدة الايمان بأسرار الصليب الذى تسلم تلاميذه به وقالوا قد مات عليه المنال لخلص العالم فهذه كلمات بسيطة غير انها اهاجت عواطف الاجتهاد حول راية آلام الرجل الالهى . ونرى من جهة غضبا شديداً وجميع مهيجات البغض والتعدى والانتقام . وفى الجهة الاخرى اللطف والشجاعة الادية والتسليم غير المحدود، واستمرت الروح تنازل وحشية الاحساس ٣٠٠ سنة والضمير يحارب الظلم، والروح الجسد، والفضيلة الفساد وجرى دم المسيحين انهاراً وكانوا يموتون وهم يقبلون اليد التى كانت تقتلهم مكنتين بالحجة التى كانت الروح تقيمها حال كون الجسد كان يسلم نفسه الى جميع العذاب وكانوا يقتلون فى كل مكان ومع ذلك فكان لهم الفوز فى كل مكان

« وقد ذكر قيصر والاسكندر وفتوحاتها والحمية التى كان يضرمانها فى قلوب عساكرهما ولكن هل تصدق ان رجلاً ميتاً يقدر ان يقوم بفتوحات بواسطة جيش صادق وقف نفسه على سبيل خدمة ذكره؟ وها جيوشى قد نسيتهى مع اننى لا أزال فى قيد الحياة . فهذه هى قوتنا والانتقال فى معركة واحدة كاف لسحقنا والضيقات تبدد شمل اصدقائنا . فهل تصدق ان قيصر امبراطور مجلس أعيان روميه الذى لا

يموت ذكره يقدر وهو فى اعماق قبره ان يسوس امباطوريته ويحرس روميه فهذا هو تاريخ تغلب المسيحية على الارض وفتوحاتها فيها . وهذه هى قوة إله المسيحيين وهذه هى المعجزة الدائمة التى جاءت بتقديم الايمان وإدارة الكنيسة فالامم تنقرض والعروش تزل على ان الكنيسة باقية

« فما هى القوة التى صانت هذه الكنيسة التى لاقت صدمات الغضب الشديدة وعدوان قرون عديدة فأين الجيش الذى حى الكنيسة مدة ١٨٠٠ سنة من عواصف التعديت والاضطهادات المرة التى تهددها بالتدمير؟ وكم من نقصان ترى فى حياة الجميع خلا حياة المسيح . فأى رجل لم تخضعه المواقع وأى رجل لم تكن الحوادث والامكنة ضابطاً لأعماله؟ اما هو فلم يخضع لسلطة الازمنة ولا جارى عادة وميلاً . فانه لم يتغير من اليوم الاول من حياته الى آخر أيامه بل كان على الدوام جليلاً بسيطاً ثابتاً لطيفاً جداً

« و ينبغي ان تمتلئ الدنيا بالحق فالنصرانية هى الدين الفريد الذى يهدم اركان التعصبات الدينية و يعلن ان الجنس البشرى واحد وبعضه أخوة البعض الآخر . وقد تفرد بمراعاة الروحيات فقط وبتعيين الاحضان الالهية فى الساء ميعاداً للجميع دون امتياز وقد برهن المسيح انه ابن الله الازلى بعدم اهتمامه بالوقت . فان تعاليمه كلها تتعلق بأمر واحد وهو الابدية ومن المحقق ان المسيح جعل فى ايماننا أسراراً كثيرة فانه يأمر كذى سلطان ، يأمرنا بان نؤمن بها دون ان يبين شيئاً غير واحد وهو كلام مخيف وصریح قائلاً (انا هو الله) وقد صرح بذلك وجعل بينه

وبين واضعى الاديان بوناً عظيماً فاذا كان غير صحيح فيكون قحة وكفراً شنيعاً . واقول ان فوز ادعاء كهذا اذا كان غير صحيح يكون عذراً للذين ينكرون الله

« على اننا قد رأينا ان تعاليم المسيح المحفوظة بالاسرار مشابهة للطبيعة لانها ذات أسرار عظيمة . فان الانسان يقول فى نفسه من أين أتيت ياترى والى أين أذهب ومن أنا؟ فالحياة البشرية أصلها سرفى نظامها ونهايتها ففى الطبيعة كل شىء متعلق بالانسان وبغيره سر لا يدرك فهل يمكن ان يكون الدين غير سرى؟ فالخليقة والدنيا سر لا قرار له وكذلك الخليقة ونصيب كل فرد . فالمسيحية لا تصرف النظر عن هذه المسائل المهمة جداً ولكنها تلاقيها بشجاعة وتعاليها تحملها عند كل مؤمن

« وفى الانجيل فضيلة سرية واقتدار سرى وتأثيرهما يدخل القلب ويعزیه . والانسان يشعر بالتأمل به بما يشعر به عند التأمل فى السموات فالانجيل ليس ككتاب بل هو كائن حى ذو شجاعة وقوى تمكنه من التكلم على كل ما يحول دون امتداه (فانظره على هذه المائة وتراه فوق كل الكتب) ووضع الامباطورينه عليه بكل اعتبار وكلما يوم أقرأه وكلما قرأته التذبه ولا أرى فى غيره آراء حسنة كالتى فيه ولا تعاليم أدبية خارقة العادة تنتشر كجيش سماوى منتشر وتؤثر فينا كتأثير الساء عند التعزى فى ليلة صيف ذات نجوم صافية فتشغل افكارنا وتغبط أعمالنا . والنفس لا تفضل مادام هذا الكتاب دليلها واذا تسلط الانجيل الامين على نفوسنا يصير المسيح محباً لنا و يصبح الله صديقنا والدنا وبالخليفة الهنا . فالام لا تعتنى اكثر منه برضيعها

« وما أعظم الدليل الذى نستدل به على أوهية المسيح فإنه أسس سلطة دينية عظيمة مطلقة ومع ذلك لم تكن له الا غاية واحدة وهى تحسين حالة الافراد الروحية وطهارة الضمير وقداسة النفس . وقد تكلم فصارت الامم فى كل الاجيال له بروابط امتن من روابط آدم وهى أقدس الرباطات وأبعدها عن الانحلال . فانه يضرهم فب حب يحرق به حب الذات ليقيم مقامه المحبة الطاهرة لجميع الناس سواء اصدقاء او اعداء . ولا ريب ان اعظم معجزات المسيح هى غلبته على حب الذات وجعله السيادة للمحبة الطاهرة العامة

اما انا فقد القيت فى قلوب الجماهير حمية جعلتهم يرفضون بأن يبذلوا حياتهم فى سبيل خدمتى . وحاشا لى ان اقابل حمية الجندى بالمحبة المسيحية فانها متباينان بالذات والعلة . على ان وجودى كان لازماً لالقاء الحمية فى قلوب العساكر بمشاهداتهم نور عيني واستماعهم صوتى وكلمة مهيجة من فى ، هذه هى الوسائل التى كانت تضرهم نيران الغيرة فى قلوبهم . وأنا حاصل فعلا على تلك القوة السرية التى تشبه قوة السحر وهى التى ترفع النفس . غير انى لم اكن قادرا ان اجعلها متصلة بالآخرين لوم يقتبسها عنى احد قوادى ولا قدرة لى على تخليد اسمى وحبى فى القلوب دون الوسائل الطبيعية . فقد صرت الآن فى المنفى منفرداً مقيداً وليس من يحارب عنى او يفتح البلاد بأسمى وليس لى من يخدمنى فى ضيقتى أو يذكرنى او يحترمنى فى بلادى وقد تركنى كل اصدقائى الا ثلاثة قد خلدت الامانة والصدقة اسماهم وانت قد شاركتمنى فى النفى والضيق وفيكم تعزيتى

« حياتى لقد لمعت مرة بعظمة التاج والعرش ثم انطفاء هذا النور اللامع كما تنكسر اشعة الشمس على قصر الانفاليد المعلقة بالقرب منا . على ان المصائب قد دهمتنا واخذ لمعانا يزول وسوء الحظ الذى وقعت فيه مع الإهانات التى تلحق بى كل يوم جعلت ذلك اللمعان ظلاماً حالكا فصرنا رصاصاً بعد ان كنا ذهباً وحجارة كريمة وبعد برهة ابنت فى القبر . هذا هو نصيب الرجال العظماء وهكذا كان نصيب اسكندر وقيصر وكذلك انا . وقد بتنا جميعنا فى زوايا النسيان ، ويصبح اسم الفاتح الامبراطور من المواضيع التى تشغل الطلبة فيها بالمدارس وتكون اعمالنا مواضيع يجعلها الاساتذة وسيلة لتعليم تلامذتهم فيشغلون انفسهم بمدحنا او بالتثديد بنا . تأمل بما يطرأ على . اننى اموت قبل اوانى الطبيعى فهذا هو نصيب الرجل المعروف بنا بوليون العظيم

« فما اعظم الفرق بين شقائى العظيم وملك المسيح الابدى الذى لا يزال اسمه معلناً ومحبوياً ومعظماً وهو ملك لا يزال منتشرأ فى جهات العالم الاربع . أهذا هو الموت ؟ أليس هو الحياة ؟ فوت المسيح هو بلا ريب موت معبود . فاذا كنت بعد هذا لا تدرك ان المسيح اله اكون قد أخطأت حين جعلتك قائداً من قواد جيشى » انتهى

(٢) شهادة روسو (١) فاه بها عند ما تأثر من قراءة الاسفار

(١) جان جاك روسو كافر مشهور فرنسى من ارباب الاقلام فى القرن السابع عشر قال عنه نابليون « اكبر مؤثر للثورة الفرنسية كتابات روسو » أ هـ

الالهية وشعره يهيبها وسطوتها على القلوب قال - اننى مقرباً بجلال الاسفار الالهية يشحذ عقلى وقداسة الانجيل تناجى قلبى ولما فيه وقع شديد . الا فتصفح كتب الفلاسفة وما فيها من الفخامة والبداعة . فاين هى من الانجيل فانها دون منه مكانة ومنزلة . فهل يتأتى لبشر أن يجيء بكتاب من مثله تسمو به فخامة المعانى وتوطئة سذاجة الكلام والمباني . أبشر من اوحى فيه بترجمة سيرته ام فوق البشر . ام هل اسلوب الكلام المودع فيه اسلوب مبتدع خبيث طماع كلا والله صاحبه . ما اللطف آدابه واطهرها والله كلامه ما اسلسه واشد وقعة فى القلوب ما اسنى حكمه وما أبلغ حكمة كلامه ما احضر فكرته وذآكرته وما ادق اجوبته وانسبها للمقام !

« هذا وناهيك عن تلك النفس الالية ما املكها للشهوات وابعدها عن الشهات . فإى الناس بل اى الحكماء عمل وتجشم المشاق وتحملها وذاق غصص المنون من دون ان يرى من نفسه الضعف ان يستغزه التيه والعجب . ان افلاطون تصور باراً ومثله لنا رجلاً أوقرتة اوزار الاثم وهو اهل بكل مكافئة الفضيلة وجزائها فاذأ هو يمثل لنا بذلك حرفاً بجرف يسوع المسيح فان بين المسيح وبار افلاطون شهاً كبيراً حتى اقر واعترف به كل الآباء واستحال الانخداع فى شأنه فما اعظم اوهام من شبه ابن سفرونسك بابن مريم وما احقه بل ما اقبح سريره فشتان ما بينها

« مات سقراط ولم يمسه عند احتضاره كبير أذى ولا لحقت به اهانة سهل عليه ان يحفظ نفسه ويبقى على فطرته الخلقية ولو لم تسعد

حياته بالانقضاء بمثل تلك الميتة لوجدنا سييلا الى الشك فى ان سقراط مع انه كان ذا ذكاء رائع الا انه لم يكن الا سفسطياً . قيل ان سقراط بدع علم الادب . وقوم من قبله قد انجزوه فعلا وعملوا به فكان اجل ما عمل انه روى ما مضى عليه وعلم بأقواله ما مارسه الناس اعمالهم . لقد بر اريستدس فعلا من قبل ان يولد سقراط وبين ما البر؟ وفدى لا وينداس وطنه بنفسه من قبل ان يقول سقراط ان حب الوطن ضرب من اللزوم . واكتسى اهل اسبرتا ثوب العفاف والقناعة من قبل ان يشي عليها سقراط . وقد غصت بلاد اغريقية آنام فضلا من قبل ان يقول سقراط ما هى الفضيلة

« اما يسوع فقل ناشدتك الله عمن اخذ من قومه مبادئ تلك الآداب الجليلة النزهة التى علمنا اياها باقواله وجعلها بافعالها مثالا نقتدى به ؟ فان حكمه سامية رائعة قد اشرقت انوارها من خلال ظلمات التعصب المدلومة . وكأن الفضائل الحسنى الجليلة صبت الى اذل الشعوب مكانة وحطت عنده عصا الترحال . فوت سقراط مطمئنا بين صحبه وهو يفاوضهم كان أهنأ ما يتمنى المرء من الميتات أما موت المسيح بين اوجاع تتنازعه وشتائم تتناوبه وهزه تطارده جيوشه ولعنات يرشقه باسهمها قوم طغاة فكان شر ما يعاف الانام من ضروب الحمام

« ولما تناول سقراط كأس السم الزعاف شكر على من قدمها اليه وهو يبكى . وبينما كان يسوع واقفا تحت عذاب شديد حاد كان يصلى لاجل اعدى قاتليه فلعمرو الحق لئن كانت حياة سقراط وموته حياة اقل وموت حكيم فحياة يسوع حياة الله وموته موت إله » أه

(٣) شهادات طائفة من العطاء : قال فورفر يون الفيلسوف الوثنى : « كان يسوع رجلاً تقياً صعد إلى السماء لأنه كان محبوباً عند الالهة » أه

وقال ستروس العالم المشهور (وهو من منكرى الوحي) : « كما يصغر شأن الانسانية بلا دين كذلك يقل قدر الدين بدون المسيح فهو الباقي الى الابد عنوان الدين الاسمى ونموذج الكمال المطلق ولا سبيل للحصول على التموى الحقبة بدون حضوره فى القلب » أه

وقال رينان العالم الفرنساوى (استرح الآن فى مجدك أيها المؤسس الشريف فقد انتهى عملك وتأيد لاهوتك وليس بينك وبين الله فرق) أه وقال أيضا : (ان لم يكن المسيح الها فوجب ان يكون الهاً عند الصليب لاجل صفحه لاعدائه الالءاء) أه

وقال تولستوى الفيلسوف الروسى : (ان المسيح برهن على الوهيته بسلكه اكثر مما بتعاليمه ومن ذلك انه قهر الشيطان وزجه فى اعماق الجحيم بقوله الاخير على الصليب (يابته اغفر لهم لانهم لا يعلمون ما يصنعون) أه

قال الفيلسوف ستورت مل : (لو امكن للانتقاد العقلى ان يجردنا من كل حقيقة فلا يمكنه ان ينزع منا حقيقة المسيح فهو الصورة المفردة التى تبقى عديمة التغير) أه

قال بينوزا : (كان المسيح هيكل الهى لأن فيه اعلن الله نفسه اعلاناً كاملاً) أه

قال الفيلسوف ليكى (١) (كان للمسيح نفوذ لم يسمع عن مثله من ذى قبل حتى انه والحق يقال عمل بتاريخ حياته البسيط فى مدى الثلاث سنوات التى قضاها على الارض على تجديد الجنس البشرى ورفع شأن الانسانية مالم يكن فى استطاعة جميع الفلاسفة بكل مساعيهم وجهودهم اهل الادب بنصائحهم ان يعملوا شيئاً منه) أه

وقال العلامة نوح اليهودى (أى حق لمن يدعونه دجالاً ونحن نرى اكثر من ١٥٠ مليوناً يعتقدون بالوهيته (٢)) ومن حولنا ادلة لا عدد لها عن السعادة والايمان والحكم الصحيح والاحسان الحى العامل للخير الذى ينبعث من ديانتته ولا مشاحة اذا قلنا ان الذى صير الجنس البشرى عظيماً سعيداً لا يمكن أن يكون كاذباً فى دعواه) أه

وقال الربى روفائيل وهو عالم يهودى ايضا (لقد سمعتمونى ادعو يسوع معلم الناصرة العظيم لذلك يلزمنى مع كل اليهود ان تقوم بواجب الاكرام له لأنه ليس من يهودى له قليل من العقل ينكر بأن التعاليم التى علم بها باسمه كانت من أقوى الوسائل لترقية العالم إلى ما بلغ اليه من

(١) الفيلسوف ليكى من اشهر الكفار

(٢) « هذا كان عدد المسيحيين فى القرن السابع عشر اما الان فبلغ نيف وخمسة مليون فى العالم اجمع مع الازدياد المضطرد) أه

الشأو الرفيع من ذرى التمدن وارجاعه من ظلام الوثنية الدامس . ومن اعظم الاسباب لاذاعة الكلمة الالهية بين الامم ولا انكر أيضا عظمة جهل الذين حكموا عليه بالموت وقتلوه » أه

وقال العالم بولنجيروك : « ان نظام الديانة التي أنشأها المسيح وأذاعها يودون أصولها الرسل تام لا نقص فيه يقوم بمطالب الدين سواء طبيعى أو موحى به . والدين المسيحى كما هو فى الانجيل لا يحتوى على نظام كامل للدين فقط بل وصریح ايضا . والانجيل عبارة عن درس مستمر لأدق انواع الآداب والعدانة والاحسان والمحبة العامة كيفما اختلفت الاحوال » أه

قال جيبون المؤرخ والكافر المشهور « لا خلاف فى ان الدين المسيحى هو الدين الذى نشر بين الناس نظام الآداب النقى العام الموافق لكل أدوار الحياة والمطابق لارادة وحكمة الاله العظيم ومؤيد بتصديق الثواب والعقاب » أه

وقال اللورد بيرون الشاعر الانكليزى الكبير « ان كان الله صار انسانا أو الانسان الها فالمسيح كان الها وانسانا معا : وأنى لم أظعن فى تعليمه قط ولن أمسه باعتراض ولكن أشكومر الشكوى من اساءة الناس لاستعماله واهانتهم برداءة سيرتهم » أه

وقال توماس باين العالم المشهور « ان المسيح دعا الناس لممارسة الفضائل الأدبية والاعتقاد بالاله الواحد وكان فاضلا ودودا . والآداب التى علم بها ومارسها كانت من أسمى أنواع الفضيلة » أه

وقال أيضا العلامة رينان المذكور : « ان الله فى الدين المسيحى أكثر من أى نظام دينى أدبى آخر . ولا ريب فى أن المسيحية هى دين الشعوب المتعدنة وكل امة تقبلها بمعناها الادبى بنسبة درجة تهنيتها العقلية . فلنحافظ اذأ على المسيحية بمزيد الاكرام والاعجاب من أجل سمو قدرها الادبى وتاريخها العجيب ومؤسسها الطاهر وجمال كتبها المقدسة ومدنيتها الصحيحة » أه

الباب الثاني

فضل المسيحية

ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . انه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » (لوقا : ١٠ و ١١)

ان الانسان قد تمتع قليلا بالسعادة في الفردوس لأنه كان متحداً بالله ولا شك ان الشركة مع الله تولى الانسان سلاما واطمئنانا غير أنه ما لبث قليلا حتى وقع في خطيئة التعدي فقضت على سلامه قضاء مبرما وتوجس قلبه خوفا ورعبا لأن الخطيئة قد اورثته الجبن والرهبه اذ الشرميع الخوف ومذهب للسلام . فبعد ان كان الانسان يسر جدا بملاقة العلى و يستهيج بمخاطباته العذبة صارت تجلياته تعالى من أروع المناظر لديه حتى أنه لم يشعر بوقع خطوات الرب في الفردوس إلا واثابه الذعر فحقق قلبه جزعاً وقشعريرة فولى الادبار ليختبىء بين الاشجار لعلها تستر عنه منظر جابله وأصبحت حالته كسقى قد أرهته رؤية الحكم

وما عثم أن طرد من الفردوس حتى شهرضده سيف الكروبم الملتبب المتقلب فكان ذلك مبدأ الخصام بين الانسان وجابله ثم بعد ذلك ازداد الوبال بما قدمه الانسان من العصيان والتمرد المتوالى فحمى وطيس الحرب بين الله القدير والبشرية الاثيمة فتقلص ظل السعادة وسادت

الرغوب وتنكد الضمير وصار القضاء الالهى يتهدد البشرية من وقت الى آخر بالاحكام الصارمة والعدل ينفذ احكامه فيها فانهمرت المياه الجارفة واغرقت البشر ولم ينج من هؤلاء الا ثمانية اشخاص في سفينة ومن هؤلاء تكونت نواة الهية الاجتماعية مرة أخرى

هذا ووصف اجمالى لحال الانسان قديما حينما سلبت منه السعادة ولم يعرف لها طريقا ولا مكانا بل كانت العدالة الالهية تقتص منه في أوقات كثيرة على اساليب متباينة تارة بالماء وأخرى بالنار وكان يظهر من خلالها ان الطبيعة فى أشد التهيج ضد الانسان الآسيف ثاراً لاهها وغدت الظهورات الالهية من مجليات الروح والاضطراب وموجبات الخشية والرهبه حتى امست كأنها نذير الموت الاحمر

الفصل الاول

عجز الشرائع عن تخليص الانسان

لما ساء حال الانسان اذ كان خلواً من كل شريعة الا شريعة
الذهن أو الضمير أراد المولى أن يسن له شريعة يسير بموجبها حتى « وقت
الاصلاح » (عب ٩ : ١٠) فوضع على قلبه رقباء ووسطاء لكي يحفظوه
من الشر والخطية فوضع أولاً ناموساً صالحاً ووصايا طاهرة اذا سار بموجبها
لا تنزل قنمه ولا يتكدر ضميره ولكن هذه النواميس والوصايا أثقلت
كاهله بالذنوب لأنها كانت ممزوجة بتوعيدات رهيبة وعقابات صارمة حتى
من هوها صرخ موسى قائلاً « أنا مرتعب ومرتعد » فأسمى الانسان يأتي
الشر ويرتكب الاثم فيضاعف عقابه ويصير عقابين عقاب فعل الخطية
وعقاب تعدى الوصية . وثاني رتبة المرسلون والأنبياء ولكن هؤلاء أنفسهم
لم يستطيعوا أن يحفظوا ذواتهم مما حذروا الناس عنه لأنهم من البشر الخطاة
ومع كل ذلك كان الخوف يمتلك كل قلب فما كان احد يجسر
على الذنوب من قدس الاقداس بل امسى الانسان واقعاً تحت قلاقل الريب
وعوامل الشك . ألا فاذكروا نبأ ظهور الله على جبل سيناء فكم كان ذلك
باعثاً على الخوف والرعب محاطاً بما من شأنه أن يولد الفزع والاضطراب
اذ كان الجبل مضطرباً بنار تميد من هنا ومنع هناك بحالة مخيفة والدخان
يتصاعد كضباب كثيف والرعد يهزم كأنه يتوعد بشر مريع والبرق يومض

كأنه ينذر برشق البشر بسهامه الذرية والبوق يزعج باصوات مرعبة حتى
رسخ في الذهن أن الهول فى القرب من الله لاسياً والله نفسه قد صرح
« ان الانسان لا يرانى ويعيش » خر ٣٣ : ٢٠ كما قال منوح لامرأته
« نموت موتاً لاننا قد رأينا الله » قض ١٣ : ٢٣ فكل تلك المخاوف، قد
ازالت السعادة والطمأنينة . زد على ذلك ان الشريعة كانت صعبة لان
كلام الناموس كان شديداً « استغنى الذين سمعوه ان تزداد لهم كلمة
لانهم لم يحتملوا ما أمر به » عب ١٢ : ١٩ و ٢٠ والطوقس كانت كثير
ثقيل « لم يستطع آباؤنا ولا نحن ان نحمله » أع ١٥ : ١٠ وخفيفة جداً اذ
كنت ترى السكين ابدأ منتضأة ومتعطشة لسفك الدماء ، والنار تنقص
يوميماً على الذبيحة فترمدها فكل هذه الامور كانت تدل بصراحة على
تلاشى السلام بين الله والبشرية الاثيمة ولم تكن كافية ان تريح ضمير
الانسان وترقى نفسه وتطمئن قلبه

هذا من جهة الشريعة الموسوية وهكذا قد ظهر عجز الشرائع
البشرية الأخرى فان الفلسفة اليونانية التى بلغت شأواً عظيماً فى التقدم
فى وقت لم يكن احد يهتم فيه بالعلوم والفنون لم تصل الى تلك الغاية
العظمى التى يرومها الانسان وهى السعادة وراحة الضمير، فان اساطين
تلك الفلسفة انفسهم عجزوا عن اراحة ذواتهم فكيف يستطيعون ان يريحوا
ضمائر الناس ؟ واليك بعض شهادات من اقوالهم تدل على ظهور عجزهم
واقرارهم به :

وقد علم سقراط المدعو شيخ الفلاسفة وامام اهل الحكمة ان الله

غير ممتاز عن العالم وامر عند موته ان يضحى بديك كان عنده الاسكو
لايون (١) مع انه اعتبر شهيد التعليم بوحدانية الله

وافلاطون المدعو المعلم الالهى جعل الله بمنزلة النفس للعالم
واعتقد بالتناسخ واباح قتل الاولاد القبيح المنظر «ارسطو» علم تكون
المادة ابدية وارباب بخلود النفس . (فيثاغورس) اوجب عبادة النجوم
ودافع عن التناسخ . قال صولون (ان قصد الالهة مكتوم تماما عن البشر)

قال سقراط ان كل معرفة صحيحة عن الالهة هي من الالهة وقال
ايضا عند موته « ارجو ان اكون منطلقا الى اناس صالحين ولكن لست
اريد ان آخذ على نفسى تثبيت هذا الامر »

قال افلاطون « ليس لنا أن نعرف الحقائق الا من الالهة أو من
أبناء الالهة وليس من وسيلة لمعرفة ارادة الالهة الابنى يعلنها لنا »

قال شيشرون « ان كل الأشياء عاطة بظلمة دامسة تسترها
حتى لا تقدر قوة عقلية أن تستكشفها » وهذا ما حدا بالفيلسوف سنيكا
أن يقول « ان الخلود شيء مشتبه جداً ولكنه موعود به أكثر مما هو مثبت »

قال أرسطو عند موته « لقد جئت الى هذا العالم عريانا وعشت
فيه شقيا تعيسا وأموت الآن في حيرة لأنى لست أعلم الى أين مصيرى

(١) كلمة يونانية معناها إله الطب

وانتهائى ، ولكن أنت ياموجد كل الموجودات وعلة العلل ترأف على
وارفق بى »

هذه بعض من اعترافات كبار الفلاسفة وأعظم اهل العلم
وكلها تدل على انهم عاجزون عن معرفة الحق ، بل ضلوا ضلالا فظيما
واضطروا الى الاقرار بالضعف والقصور

وإذا تأملنا اعتقادات الامم الأخرى الوثنية لاسيا فى ما يختص
بخلاص النفس من ربقة الاثم وجننا الوسائط التى يستعملونها لذلك
تافهة لا تروى لهم غليلا ، وباطلا يقومون بها فن ذلك حينما يشعرون
بالتعب من خطاياهم يشير عليهم الكهنة باحتمال الالام المتنوعة لا
للحصول على التبرير وانما يرجون رجاء باطلا بأنهم يرضون آهتهم
فيغفرون لهم خطاياهم . فترى الكهنة تارة يأمرون الشعب بالسير حول
الهياكل لابسين أحذية فى نعالها مسامير حادة الرؤوس حتى اذا تحركوا
تنخس أرجلهم وفى كل خطوة يخطونها يتألمون من تلك المسامير ويخرج
الدم منها ، وطورا يأمرتهم فيضطجعون أياما وأسابيع أو أشهراً على فراش
مغطاة بمناخس من حديد ضخمة الرؤوس وأحيانا يلزمونهم بأن يتقبوا
السنثم ويدخلوا فى الثقب قضيبا .

قال الدكتور نيوتن « وهناك قدام الهياكل سقالة يكون علوها
طبقتين أو ثلاثا وعند أسفلها توضع على الارض اكياس صوف مسطحة
فيها مسامير حديدية ومن يريد من الشعب أن يرضى الالهة ويحصل على

غفران الخطايا يؤمر بأن يصعد على تلك السقالة و يقف على طرفها
و يطرح نفسه فيسقط على تلك المسامير والجمهور العظيم واقف لمشاهدة
المنظر. وحالما يسقط أولئك المساكين على تلك المناخس الذريعة المؤلة
يصفق الجميع بأيديهم و يرتفع ضجيجهم وصراخهم الى طبقات الجو
كأنهم يرون أمراً مفرحاً «

والخلاصة أن كل الوسائط التى استعملها الانسان لتطمين
خاطره وراحة فكره لم تجده نفعاً وقد غدت بلا طائل لولا ظهور الديانة
المسيحية التى أتت بالمطلوب وقضت ما هو مرجو ومرغوب . وقبيل ظهور
هذه الديانة كانت جميع الطبيعة البشرية تصرخ الى السماء ولسان حالها
يقول « انه وقت عمل للرب قد نقضوا شريعتك » مز ١١٩ : ١٢٦ فكان
جوابه تعالى فى جميع تلك التجهيزات التى أقامتها عنايته « قريب برى .
قد برز خلاصى » أش ٥١ : ٥

الفصل الثانى

العالم والمسيحية

فى سنة ٤٠٠٤ للمخليفة ولد السيد المسيح وفى ليلة ميلاده طافت
ملائكة السماء بقياساثيرها الشجية تهنىء أهل الارض قائلة « ها نحن
نبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . انه قد ولد لكم اليوم فى مدينة
داود مخلص هو المسيح الرب » (لوقا : ١٠ : ١١)

ولا عجب من قولهم هذا لأنه ميلاد المسيح كان قد حان الوقت
الذى فيه تنزل الظلمة الروحية الداجية التى غطت الارض مدة اربعة
آلاف سنة والذى فيه يسحق رأس الحية العتيقة أى ابليس وينادى
للاسرى بالاطلاق والحرية وللعمى بالبصر ويسهل الطريق لنوال المغفرة
والسلام لجميع بنى البشر . وأيضاً كان قد قرب الميعاد لظهار واثبات
الحقيقة الجليلة وكشف السر المكتوم منذ القديم اى الطريق التى بها
يصفح الله عن الخطاىء بمجرد رحمته اكراما للمسيح بدون أن يناقض
أحكام عدله وقداسته وكان الخلاص العظيم مزعماً كذلك أن يظهر ويتم
حقيقة وفعلاً لا بواسطة رموز وكتابات مبهمه . والمعرفة بالله وبشريعته
التي كانت منحصرة فى أمة اليهود كانت عتيدة أن تنتشر بين سائر
الشعوب والامم على وجه الارض كلها

وقد بث السيد المسيح تعاليمه فى نفوس تابعيه الاثنى عشر وهؤلاء جالوا يكرزون بها وأتوا بواسطتها أعمالا تعد من المعجزات فازالوا الجهالة واستبدلوها بالعلم ورفعوا الدين الالهى النقى فوق الاديان الباطلة بعد أن اماطوا للشام عنها فاستجلوها وأفرغوا جهودهم فى مقاتلة اعداء الدين والحرية والعلم فرجعوا فائزين منتصرين وعلموا الناس مبادئ الدين والشرف بما أنار الخافقين

ولا ريب ان هذا التعليم الجديد قد عمل على تغيير الانسانية تغييراً كلياً وكان من أثماره أن اطمانت القلوب الخائفة وسكنت الافئدة الواجفة وهدى الضمير المروع وأدرك الانسان أصل وجوده وغايته ومصيره ، الامور التى بحث عنها الفلاسفة طويلاً ولكنهم عجزوا عن ادراكها فلم يمكنهم أن يخبروا عن صفات الله بأجلى بيان ولم يكن لهم أن يؤكدوا للناس غفران خطاياهم لان الطبيعة لم تعلم بذلك وكل التواميس البشرية عجزت عن ارشادنا الى الكالات الالهية ووصف الحالات التى تكون بعد القبر وعقيب نهاية العالم ولم تستطع أن تخبرنا عن الخلود الابدى ويصح فى هذا قول هيوم الكافر الشهير: « ان الديانة فى كل ابوابها لغز وسر لا يحل ، وجل ما نحصل عليه من أدق البحث عن هذا الموضوع هو الشك وعدم التأكيد والتوقف عن الحكم » ويمثله قول الرسول « ان العالم لم يعرف الله بالحكمة » (١ كو ١ : ٢١)

ان الديانة المسيحية هى الديانة الوحيدة التى تفضل بها الله على بنى البشر قانوناً للحياة قاضياً بها على الجهالة فهى مرشد لنا فى هذه

الحياة تعلمنا كيف نحيا ونعيش للبر وكيف نسلك مع المسيح وكيف نعبد الله

ومن المحقق الذى دل عليه الاختبار ان كتب اهل الاديان الاخرى لا تؤدى بأصحابها الى شىء مما يدلنا كتاب المسيحية اليه . فأى كتاب منها يسكن روح الخاطئء من هول الحساب وأى منها يستميل القلب والحياة ويعد لهساء طاهرة لا تدخلها الشهوات ولا تحوم حولها الانسان . يسكن فيها جماعة المخلصين الذين نالوا الحرية الكاملة الخالية من كل عيب ودنس ونقص الى غير ذلك مما هو مخالف لطبيعة الله الكلى القداسة . فتلك الاديان لا تدل على طريق الخلاص من الخطية ولا كيفية احراز القبول لدى الله بل تغادر الانسان بدون أن تروى له غليلاً

وإذا أردنا أن ندرك فضل المسيحية فيجب علينا أن نلقى نظرة على حال العالم قبل ظهور هذه الديانة فقد أخبر مؤرخو ذلك العصر أنه لما أتى المخلص له المجد الى العالم كان العالم فى حالة الغباوة والشر . وكان الجميع خلا الاسرائيليين عبدة أصنام وحياتهم كديانتهم مملوءة فساداً وشرأ اذ لم يكن لهم رجاء ولا إله حسبما قال عنهم بولس الرسول فى (اف ٢ : ١٢)

وتاريخ تلك الازمنة يشهد بأن الناس لم يكونوا يعبأون كثيراً بالشر ويظنون أنه أمر فظيع بل كانوا يمارسون كل انواع القساوة التى تملأ الانسان نفوساً وكرها بل كانوا يتوهمون ان فى ارتكاب المعاصى ارضاء

الآلهة . لهذا كانوا يطلبون من الالهة أن تساعدهم على السرقة والكذب والفسق وغير ذلك

وحتى البلاد التي كان لها قسط وافر من المدنية والعلم كرومية وبلاد اليونان لم تخل من امثال هذه المنكرات بل فشت بينهم العبادة الوثنية وآلهتها التي كانت لا تسرحسب عرفهم الا بسفك الدماء وتضحية الاجساد الطاهرة والنفوس البريئة على مذابيح الشر والفساد فسفك الاباء نفوس الابناء وقتلت الامهات بناتهن أمام تلك الاحجار الصوانية التي لا تشعر ولا تحس ، وهكذا كنت ترى الرجل فى خيفة من زوجته واولاده حتى ارتفعت الفلاسفة وخافت العلماء من ان تقضى هذه العبادة الباطلة على حياة الجنس البشرى ، لكن والحالة هذه ظهرت الديانة المسيحية فغيرت نظام العالم من هيئة منحطة فى الآداب الى هيئة سامية سماوية وقضت على تلك الفظائع وازالت الرذائل واجلست على عرشها الفضائل فساد الامن وعم الاطمئنان

قد احدثت المسيحية تأثيراً عظيماً فى العالم لانه حيث تغلبت وقبلت باعتبار عظيم ورسخت تعاليمها بايمان وطيد وامثلت أوامرها افادت الهيئة الاجتماعية ورفعت شأنها وجعلت احوال البشر افضل مما كانت عليه قبل دخولها بينهم

ذلك هو فعل الدين المسيحى ، الدين الذى اتى من السماء ووضع اصوله ابن الله وتأييد بالأيات الباهرة والمعجزات القاهرة وصحت فيه النبوات الظاهرة وثبت بدم المسيح ورسله الذين ماتوا نصرة لحقه وبانت

قوته فى الذين جاھروا بحقائقه مقتحمين غمرات الموت باشكال العذاب مستهلين الاستشهاد على ترك الايمان به

الدين المسيحى هو أقوى أساس يبنى عليه التهذيب الحقيقى والارشاد الكامل الى سبل الحياة وطريق الاستقامة ، وعلى اعمدته تشاد دعائم الفضيلة والآداب العالية وبه تستضىء افكار الحكماء والعلماء وتستتير أذهان الجهلاء والبسطاء

الدين المسيحى هو الدين الذى انشأ فى الوجود انسانية جديدة لم تكن قبل ظهوره . هو الذى علم الناس مبادئ الشرف والعدل وهو الذى ارشدهم الى طريق الخلاص بالمسيح يسوع ليكونوا آمنين وقت الموت وسعداء فى الابدية وذلك للاسباب الاتية :

(١) لسمو تعاليمه . أجل أن بين البشر فلاسفة محنكين وعلماء مدربين تكلموا بأقوال نفيسة ونطقوا بحكم معتبرة جديرة ان يتمثل بها الانسان فى كثير من الظروف المختلفة ولكنهم لم يحيطوا علماً بدائرة الاختبار الكافى ولم يتوصلوا الى درجة بها يعرفون الدواء الشافى للعلل الكثيرة التى تنتاب الشر وان كانوا قد علموا بعض الصفات الواجب الاتصاف بها ولكن قانونهم القاضى ببقاء الانفع يقول « بامانة العجزة والشيوخ ومن لاقدرة له على الاتيان بفائدة » ولذلك لم يستقيح افلاطون قتل كل مشوه الوجه ، ومن هذه الشريعة عمد اهاالى اسيرطه الى قتل كل طفل يولد ضعيف البنية على حجر أمه . ولكن الدين المسيحى تمتاز مطالبه عن مطالب سائر الاديان بل تتميز آداب الكتاب المقدس والدين

المسيحي عن كل ما سواها بل هو يرفض بالكلية في كل تعاليمه رذائل الشر ويستهجنها ويرفع شأن كل ما يليق بالبشر من الفضائل ويأمر قائلا «كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن ان كان فضيلة وان كان مدح ففي هذه افكروا» في ٤ : ٨

(٢) لتأثيره في المدنية الصحيحة . ليس من ينكر ان الدين المسيحي عامل على امتداد المدنية باحياء روح الوحدة في قلوب تابعيه و ايجاد مبدأ الاشتراكية الصحيح والاخوة الحقة بين أفراد الامم المتنوعة التي يعمل على توحيد افكارها وجمع شتات أغراضها الى عائلة واحدة تسعى السعى المشترك للصالح الواحد العام بغض النظر عن اختلاف الجنس والوطن . العلم دفعنا الى الرفق بأولى العلم نظيرنا أما المسيحية فتحملنا أن نشفق على جميع الجنس البشري على اختلاف طبقاته

زد على ذلك ان الدين المسيحي يعمل على الدوام على نصرة الفضيلة بل هو مصدرها وعلة وجودها ولما كانت المدنية الصحيحة لا تقوم الا بالفضيلة كان الدين المسيحي علة المدنية بلا خلاف

(٣) لتغلبه على جميع الموانع التي كانت سداً بين طبقات جميع الشعوب . قد أزال الدين المسيحي هذه الصعوبات بعكس الاديان الاخرى فاليهودي يكره السامري والصيني يدعو الاجنبي شيطاناً والرومان واليونان يقسمون الناس الى متمدنين و برابرة ويقسمونهم الى مؤمنين

وغير مؤمنين وشتان بينهما . ولكن ليس كذلك في المسيحية فلا فرق بين شعب وشعب أو جنس وآخر، ليس يهودي ولا يوناني ليس عبد ولا حر ليس ذكر ولا انثى لانكم جميعا واحد في المسيح يسوع (غل ٣ : ٢٦ - ٢٨)

أو ليس الدين المسيحي هو الذي نقل العالم من العبودية الجائرة الى الحرية والمساواة والاخاء . ألا ينسب له الفضل في منع التخاسة (الاتجار بالعبيد) ووقفه كالسد المنيع ضد من يتجارى على ذلك ؟

انقضى الزمن القديم وبث السيد المسيح تعاليمه الفضلى الجديدة المؤسسة على الحرية ورفع لواء شأن الأنسانية فانقذ العبيد الارقاء بواسطة تعاليم الانجيل الصالحة كما مربنا ولكن أمرت الشريعة المسيحية بان يخضع العبيد لمولاهم خضوعاً تاماً (غل ٥ : ١٣)

وعليه فلا بدع أن قلنا أن شجرة الحرية الحقيقية لم تنبت الا في بستان الانجيل وعبثاً نحاول الوقوف على مصدر آخر للحرية غير الدين المسيحي فهو وحده الذي وضع أصولها وقرر مبادئها وعلم الناس حرية الفكر ليعتقدوا ما يعقلون وما تقبله الضمائر وبالجملة فالدين المسيحي رفع قدر الانسانية وضرب على الاستبداد بيد من حديد وأنشأ في الوجود هيئة تتوفر فيها شروط المدنية على مبادئ صحيحة حرة في مبادئها منتظمة الشؤون

(٤) برهان ملموس : من أراد ان يتحقق فضل الدين المسيحي

تحقيقا لا شك فيه فليوجه نظره نحو الامم الخالية من اصوله التي تجردت
عواطف أهلها من مبادئه فانه لا يرى الا فسادا ينبع وشرورا تلمع ومطامع
لا تشبع ودماء تسفك على أرض لا تبعل . قال أحد الافاضل « أجل
نظرك الى آداب المملكة الرومانية قديما أو ايطاليا تحت سلطة ملوكها
الاولين والى فرنسا زمن ثورتها المشهورة حين خلعت الدين . انظر الى
مبادئ الفوضويين والاشتراكيين المتطرفين الذين جل مقاصدهم افناء
العائلات وتقويض اركان النظام العمراني وابطال الاعتقاد بالله . ماذا
ترى الاوحوشافى اجسام بشرية بل شياطين فى صور انسانية تجردت
قلوبهم من عاطفة الرفق والحنان وخلت مشاعرهم من الحب لاختوتهم بنى
الانسان » أما الدين المسيحى فاذا وجهت نظرك الى نتائج تعاليمه ترى
آثار الخير المنتشرة فى الارض المحففة لالام الانسانية العاملة على ازالة
وبلائها وبه كثر الاجتهاد والذكاء وشيدت المدارس والكنائس
والمستشفيات والجمعيات الخيرية والتبشيرية وتقدمت العلوم والمعارف
ولا ريب أن اية دولة تضع قواعد الدين المسيحى نصيب عينها تترقى رقىا
صحىحا . وقد شهدت بذلك الملكة فيكتوريا عندما أتى اليها سفير أمير
افريقى ارسله مولاه ليعلم سر القوة الانكليزية اذ قالت لوزيرها « قل
للامير ان هذا (وشارت الى نسخة من الانجيل) هو سر عظمة انكلترا »

(٥) لتأثيره فى الافراد والجماعات . دخل الدين المسيحى الى
قلوب الافراد فلأها كمالا وقداسة وطهرها مما تلوثت به من أدناس
الشوائب الحسية وعمل على تجديد الانسان وتنظيم اموره واعلاء قدره

وتغيير مبادئه فصار يعيل بعاطفة المحبة الطاهرة الى القداسة والى اخوته بنى
الانسان ويعمل لخيرهم ويسعى فى تخفيف ويلاتهم

ثم دخل العائلات فرقى نظامها وعلم المرأة احترام الرجل وارشد
الرجل الى واجباته نحو المرأة وهذب الاولاد على طاعة الوالدين وأوصى
بالاعتناء بالمرضى وافتقاد المحبوسين والاسرى . واذا وجهت نظرك فلا تجد
اسعد واتم نظاما من هيئة يعيش افرادها مسيحين بالحق يسرون حسب
ارادة مولاهم فى القول والعمل . كما أنك لا تجد دينا فى العالم يبعث على
احياء العواطف الميتة ويخلق التأثير العجيب فى الضمائر النائمة سوى
الدين المسيحى فانه يفعل ما لا تفعله السيوف البتارة ولا تقدر عليه صولة
الجبابرة ويفتت صلد الصخور القلبية ويحول الذئب الضارى الى حمل
وديع وينهض بالناس من سنة النوم الى طلب المغفرة ونيل الخلاص
المجانى

ذلك الدين الذى أشر على الاخلاق والقلوب وغير أكبر الامم
وأعظم الشعوب ونقلها من اخلاق الوحوش الضارية والاسود الكاسرة
الى الرفق واللين ، بل من المهمجية الى المدنية ، ومن التوحش الى
الانسانية ، ومن الغباوة والجهل الى النور والفهم ، من أكل أموال الايتام
والارامل الى مساعدة الاقوياء للضعفاء والاعنياء للفقراء ، من عبادة
الاصنام والحيوانات الى عبادة خالق الارض والسماوات

لا تجد مكانا آمنا مطمئنا فيه يحترم الاباء أولادهم ويعتنى
بالاطفال ويعرف مقام المرأة ويرثى لحال الفقير ويشفق على البائس
المسكين ويعال المقعد العاجز الا حيث امتدت سطوة الدين المسيحى

وعرفت قواعده . واذا راجعنا تاريخ الجنس البشرى ونظرنا الى احوالهم اجمالا لرأينا من تأثيره فى الافراد والجماعات ما يجعله فوق كل كلام فكم هذب ودرب أقواما وأرشد خطاة وهدى ضالين وجعل السكير أياً والزانى عفيفا والشرس لطيفاً ، ورفع عائلات ونظم جماعات . وتأثيره على الخصوص خفى فى القلب مع ما فيه من الجلال الباهر والجمال الساحر، الامور التى لا يتسنى للمبادئ السياسية والعلمية مهما كانت أن تعمله لأنها وان كانت توسع دائرة العقل وتنقعه الا انها عاجزة عن زرع بذور الحب وعن السيادة على القلب الذى منه مخارج الحياة ولا تستطيع التسلط على الضمير، وبدون اصلاح القلب لا يمكن الحصول على الاصلاح الحقيقى الواجب لارتقاء الامم . لذلك يكون الدين المسيحى وحده هو القادر على هذا الامر

هذا ولو أردنا أن نتكلم عن كل الاصلاحات التى أجراها الدين المسيحى فى العالم والتى تدل على فضله لأحتجنا الى مجلدات ضخمة ولذلك نكتفى بما ذكرنا كما أن النور لا يمكن اخفاؤه والشمس لا يمكن أن نجعلها بكفيها . غير أننا نسأل أعداء الدين المسيحى هذا السؤال : هل لكم أن تأتوا بدين يفعل هذا الفعل الغريب و يؤثر فى نظام البشرية هذا التأثير العجيب . أتخفوننا بدين مثله أن كنتم صادقين . تصوروا ماذا يحصل للعالم لو انتفى الدين المسيحى ؟ أو ترى كيف يكون حال العالم لو رفعت منه قواعد الدين المسيحى ؟ ألا تعلم أن الفوضى تعم والخراب ينتشر والارض تصبح جحيماً لا يطاق ؟ قال مرة رئيس الولايات المتحدة « ان كل رجاء فى تقدم البشر متعلق على تأثير المسيحية المتزايد »

الباب الثالث

معجزة المسيحية

المعجزة هى فعل عجس مذهب مخالف للنظام المعتاد ولشرائع الطبيعة اذ أن ما يحدث بموجب شرائع الطبيعة ويكون موافقاً للنظام الاعتيادى يسمى حادثاً طبيعياً واما ما يحدث خلافاً لشرائع الطبيعة ويكون مصحوباً بتعريف سابق بأن ذلك موافق لارادته تعالى ومصنوع بقدرته فهو معجزة . فثلاً من شرائع الطبيعة ان الميت لا يرجع الى الحياة فلورجع لكان ذلك معجزة

وعلى مقتضى هذا التعريف فان من له المام بالحوادث التاريخية ويتتبع تاريخ الديانة المسيحية من بدء تأسيسها لغاية الآن يرى أن وجود هذه الديانة وبقاءها لآن معجزة فى بابه اذ من المعروف ان الامم لا تقوم لها قائمة والهيات لا تتكون والممالك لا تثبت الا بالقوة . هذا شىء طبيعى يؤيده المشاهد وتؤمن عليه الشرائع الطبيعية التى تجعل القوة والعظمة أمرين متلازمين . ولكن مما حدث معجزة مخالفاً لسنة الطبيعة ان الديانة المسيحية تأسست بالضعف وقامت باللاقوة . ونجاح الانجيل واتساعه لم يتم الا بوسائط ضعيفة وذلك برهان على أنه من الله

ولا خلاف فى أن الاديان الاخرى لم تتأيد فى الارض الا بقوة

البشر ولم تقم لها قائمة الا بتدبيرات طبيعية . فبعضها نجح بالسيف والآخر بالحيلة والتدبير البشرى وغير ذلك من الوسائل الزمنية . أما الدين المسيحي فجعل عن ذلك كثيرا وسما عن غيره ولم يتخذ وسيلة بشرية لنشر فضائله بل أذاعها باظهار سموها بين الناس . نعم قد ينتشر الدين بقوة السيف أما الدين المسيحي ففضلا عن كونه تجرد من هذه القوة فكان السيف واصحابه ضده وضد أتباعه . وقد يعم الدين بالنفوذ السياسى ، أما المسيحية فكانت السلطة المدنية ضدها تريد اعدامها

ولو كان الانذار بالانجيل مستندا الى اعمال الطبيعة ومساعدتها لكان ذلك ابطالا واضعافا لقوة الصليب العجيبة ، فالانجيل بدون الاستعدادات البشرية قررله بقوة الله أن يفتح بنفسه القلوب ويبين للعالم بهذه المعجزة انه آت من الله وبذلك أخزيت تلك القوة الانسانية وهذه الحكمة البشرية . وينتج من ذلك ان اهتداء الأمم ودخول الكثيرين الى المسيحية وتلك الأقوال التى أدهشت المتقلمين وأعجزت المتأخرين لم تكن من قوة البشر وبراهينهم المقنعة .

أجل . أن نجاح الانجيل أولا فى تلك الأوقات هو معجزة عظيمة ليست من الأرض بل من فوق فجرد النظر الى صفات العصر الذى انتشرت فيه المسيحية يتضح ان ثبوتها فيه كان بقوة الله ، فان اعداءها كانوا اقوياء . هذا فضلا عن تشيبت كل امة بديانتها . والديانة المسيحية أتت لا لكى توجد فقط بل لتلاشى الأديان الفاسدة الأخرى فهمتها كانت صعبة للغاية . فاذا يعمل اشباع هذه الديانة وكيف يستطيعون ان

يغيروا القلوب عن اديان الفوها ووجدوا آباءهم عليها ، الى ديانة حديثة لم يعرفوها ولم يسمعوها من قبل وهى « المسيحية » ويرجح ان هذا اللقب « مسيحي » كان فى الأول شتيمة « ١ بط ٤ : ١٦ » حتى أن اغر يباس قال لبولس « بقليل تقنعنى أن اصير مسيحيا » (أع ٢٦ : ٢٨) والمعنى ان حسن برهانك يجعلنى ارضى ان اعاب بهذا الاسم

ويجب علينا ان نلاحظ انه كان وقتئذ لكهنة اليهود والأمم سلطة ونفوذ . ومشروع المسيحية يقوض كل سلطة لهم ولذلك ينتظر ان تكون مقاومتهم للمسيحية شديدة جدا . كما ان السلطة العالمية كانت ترتعد فرقا مخافة ان تكون الديانة المسيحية آتية لتحل محل الملوك والولاة ، ولهذا كنا نرى الامبراطور دومتيانوس يتوجس خيفة عندما يسمع عن المسيح بأنه ملك ، وكان يخشى ان يأتى المسيح يوما وينزع الملك من يده ويجلس مكانه لأنه لم يكن عارفا ان ملكوت المسيح هو ملكوت روحى وان ملكه هو فى قلوب الناس لا فوق اعناقهم

لهذه الأسباب اتحد على مقاومة الانجيل جمهور الشعب والعلماء والكفرة والكهنة وسلطان الحكم المدنى . ولأجل ذلك كان امام المسيحية صعوبات كثيرة وعقبات عديدة عليها ان تقاسمها وتجتازها لكى تقوم بما عهد به اليها . وكان لها ان تتذرع بقوة عظيمة تفوق كل تلك القوى التى كانت تعمل على محو اثرها من الوجود

ولا ريب ان الأمم تربصت للمسيحية فى ابان ظهورها اذ علمت بعظم الخطر الذى يلحق مصالحها من جراء مبادئ هذه الديانة

فتألبوا على معارضتها وراموا تقويض أركانها وعرقلة مساعيها . ولكن من هنا يظهر وجه الإعجاز الذي نتكلم عنه فع ان اضطهاد المسيحيين قد لازم حده والضيق اخذ اشده وشرع السيف يعمل في رقابهم حتى قتل منهم الوفا على اشنع طريقة سواء بالحرق او بطرحهم للوحوش الضارية . مع كل ذلك نرى ان ذلك الحق الذي كان ينادى به اولئك المضطهدون والمهانون والمزدرى بهم قد رسخ كاملا وثبت عاملا واستمر لامعا بنوره الساطع وبمتدا الى كل اقطار العالم ولم يمض الا قليل من الزمن حتى آمن الوف بالديانة المسيحية في اورشليم وأماكن أخرى في بلاد اليهودية . وفي بلاد الوثنيين كان النجاح أكثر سرعة واتساعا ، وما مضى على ظهور المسيحية نصف قرن حتى قامت كنائس في أعظم مدن الولاية الرومانية جميعها التي كانت اذ ذاك ممتدة في أكثر الأقطار المعروفة حينئذ من الدنيا . وكان كلها هي وطيس الاضطهاد كثر عدد الداخلين الى حضن المسيحية ومازال الأمر ينمو ويتقدم حتى صارت الديانة المسيحية ديانة القياصرة وأشراف ولايتهم وذلك في أقل من ثلاثة قرون بعد قيامة المسيح

تلك هي الموانع والصعوبات التي احتاطت بها المسيحية والتي هبطت عليها كالسيل الجارف غير انها لم تنتكص الى الوراء ولم ترتد على عقبيها خاسرة بل ثبتت غير متزعزعة ، وهذا ما يقودنا الى الاعتراف بأن قوة سرية كانت تعمل فيها وبها وهي التي حفظتها في كل تلك الادوار المريعة التي مرت عليها . قال كارليل الكاتب الانكليزي الشهير: « كيف نجح هذا الدين وامتد بين الناس ؟ هل بالأندية ودور التعليم والتدابير الطبيعية العقلية ؟ كلا ولكنه بخلاف ذلك يضعف تأثيره بمثل

هذه الوسائل . ولأنه ليس بدين عقلي فلا يمتد بالوسائل العقلية . ولا هو نظام بشرى فلا ينجح بالأسباب الزمنية ولكنه روي يتقدم بالطرق الالهية . فقد نشأ في أعماق النفس وانتشر بالتبشير بالكلمة لا بالأدلة والمناظرات الفلسفية والبيانات المنطقية وامتد بالاقناع الداخلي بوسائل ضعيفة فكان كلهيب النار يتدلح لسانه ممتداً من قلب الى قلب حتى تطهرت قلوب تابعيه وضاءت بنوره الآلهي الفائق واشرق على ظلام العالم كالشمس في ضحاها . وأثار في دجي ليل الجهالة فبدد غياها — ولا أثر للمساعي البشرية في نجاحه ولا للوسائل المادية الزمنية في انتشاره »

حقا انه لأمر عجيب . وما يدعو إلى العجب أكثر فأكثرا اذا تأملنا في المنصدر الذي كانت تستمد منه المسيحية قوتها والذي به تثبت أساسها . ولنتأمل الآن في ثلاثة أمور كانت العوامل الوحيدة في بقاء المسيحية سائرة على مبدأ الزيادة الفائقة حتى الان .

الفصل الاول

الصليب

« فان كلمة الصليب عند الهالكين جهالة واما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله » (١ كور : ١٨٠)

ان الديانة المسيحية هي ديانة المعجزات والعجائب لهذا لا غرابة ان كنا نرى اول سلاح استعملته لتأييدها ، وأعظم قوة أطلقتها على خرافات الوثنيين وأوهام اليهود ، وأهم نبال صوبتها الى القلوب القاسية وأسرتها هو « الصليب » ذلك الذي لم يجد بولس شيئاً يفوقه حتى يفتخر به فقال « وأما من جهتي فحاشا لى أن أفتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح » (غل : ٩ : ١٤) هناك من أعلى جبل الجلجثة صدر المرسوم الملوكى بوجود المسيحية « قد أكمل » يو ١٩ : ٣٠ وهناك تحت خشبة الصليب انسكبت قطرات الدم الثمين التى بها كتبت معاهدة الصلح بين الله والبشرية الأثيمة وبهذه الدماء الكريمة تأيدت المسيحية « ذبحت واشترىتنا لله بدمك » رؤ ٥ : ٩

لا نقصد « بالصليب » قطعة الخشب التى استعملت لتمام هذا الغرض بل نريد بذلك العمل العظيم الذى تم بالصليب ، لا بل ذلك

الرجل العظيم « المصلوب » مؤسس المسيحية . كثيراً ما احتقرت المسيحية لأن رئيسها مات « مصلوباً » ولكن قد مضى ١٩ جيلاً منذ تأسست المسيحية وقد هلكت فيها النور الرومانية ، واشعة الصليب لا تزال تضيء فى القلوب ومن اعلى قباب الكنائس فى أنحاء العالم وصارت المملكة المسيحية الان تنيف عن أضعاف المملكة الرومانية

أن مؤسس المسيحية « المصلوب » يفوق جميع مؤسسى الحكومات والمشرعين العظام والأبطال الصناديد وحماة الأمم فلم يفكر واحد فى ما فكر فيه هذا الشخص العجيب بل أن أفضلهم وأعظمهم وقف نفعه بالأخص على قومه أو امته أو مملكته . أما يسوع ذلك النجار الجليلى البسيط فله ما لم ينسب لأولئك . ذلك الذى لم ير خارطة واحدة للعالم فى كل حياته ولا سمع بأخبار ولونصف الامم العظيمة التى تسكن على سطح الكرة . عاش زمناً فى أجمل ولايات فلسطين فى حالة الفقر مشتغلاً بيديه تحت ظلال دكان النجارة بعيداً عن المدارس والجمعيات والمكاتب ، لاحظ له فى وسائل المدنية الاجتماعية ولا التربية العصرية ولم يكن له منها سوى عناية الأم وكتاب الطبيعة ونسخة العهد القديم وشركته الداخلية مع ابيه السماوى . ومن ذلك قام استغراب اليهود وكل معارضيه الذين سمعوا أقواله المدهشة فزاد عجبهم قائلين « أليس هذا ابن النجار! فن أين له هذه الحكمة وهو لم يتعلم قط » ؟ .

وبما يدعو الى الغرابة أكثر أننا نراه يشرع وهو خارج من دكان النجارة فى مشروع أصعب وأوسع من مشروع نابليون لأنه قصد بمشروعه

أخضع العالم كله لذاته . وزاد عن نابليون بانه قصد أخضاعه بعمل المحبة الالهية . على انه مهما يقال في أمر نوابغ الارض فكان لايد من توالى السنين وكثرة الايام لأعداد عقولهم وصفاتهم حتى يمكنهم الظهور بين الناس وندر من ظهر منهم في شرح شبابه وأتم عملا يذكر وهو في سن الثلاثين من عمره نظير اسكندر المكدوني الكبير . ولكن هذا كان سفاكا للدعاء قضى حياته يعيث في الارض فساداً ثم مات أخيراً ثوباً من شهوته وبعد أن شاد أعظم مملكة لعبت بها أيدي الضياع وإن ثرت بعد مماته . أما يسوع المسيح بشير السلام فانه مات منتصراً ومملكه الروحي دائم الى الابد .

ان أغلب اليهود الذين سمعوا كلام يسوع عن تأسيسه مملكة ليست من هذا العالم كانوا يرمونه بالمروق عن جادة الصواب بل كانوا يحتقرونه وذلك لأنهم كانوا ينتظرون لضعف الشخص المنظور لهم ولم يدركوا أن كلام هذا الناصري يتم بعد موته بوقت قليل حيث أخذت مملكته تمتد حتى الى بيت القيصر . وما كان أدعى لاندھاش قول مؤسس المسيحية « أن حبة الخنطة ما لم تسقط في الأرض وتمت فلا تثمر » فهو يعلق نجاح ديانته على موته . وفي هذا معجزة غريبة . ملك يحتفل بتصيبه وهو معلق على الصليب ! و يتوج باكليل شوك وملك وهو بين ثنايا القبور ! لامراء ان الذين قاموا ليؤسسوا الممالك هم رجال غيورون عظام ذوو بأس وقوة لهم عدة وسلاح اما مؤسس المسيحية فقد ابتداء بتأسيس مملكته بروح الهدوء والرزانة وعمل بدون مظاهرة ولا طنطنة وختم حياته بالموت معتبراً ان هذا هو النصر .

ترى قادة الامم وأبطالها لا يخالطون الا العظماء لكي يكونوا لهم عضداً في مهام الامور ، أما قائد المسيحية وبطلها فلم يهتم الا بالفقراء ولم يهتم بهم فقط بل سر أن يكون واحداً منهم « الذي افتقر لاجلنا وهو غنى » كو ٨ : ٩ كما أنه لم يكن محاطاً بحزب ، ولا عضداً من فئة من الناس تعاونه على مشروع تأسيس مملكته ، ولا جعل لذاته شهرة خاصة ولا امتيازاً معلوماً « بل أخذ صورة عبد صائراً في شبه الناس » في ٢ : ٦ - ٨ .

قال ثيودور باكر عن يسوع « أفحصه كما تفحص المعلمين الآخرين انهم يلقون تعاليمهم على الناس فيقوم بعدهم افراد قلائل من المنتظرين تعزية في تلك التعاليم و يقبلون البشائر الجديدة و يتبعون الطرق الجديدة ولكنهم لا يلبثون حتى يفوقوا معلمهم و يزدوا شهرة وعملا عن مرشديهم بقدر ما تكون عقولهم أقوى و اكبر من أولئك المعلمين ولكننا نحن الذين انتهت الينا اواخر الدهور نرى اليوم ما لم يره سقراط ولا غيره من العلماء . نرى بعد مرور تسعة عشر قرناً على بزوغ شمس الانسانية ان يسوع هو الشمس العالية التي لا تلوها شمس في الوجود . لان لم يستطع فرد او جماعة ان يحيطوا علماً بكل افكاره او ادراكا بجميع طرقه وان يطبقوا حياتهم تماماً على مثال حياته »

هذا ولم يأتنا التاريخ بخبر رجل عاش هكذا وديعاً ناكراً ذاته انكاراً لا نظير له كما واننا لم نسمع عن نجاح باهر صادف عملاً كالنجاح الذي صادف عمل هذا الرجل الوديعة . هو المولود في مذود البهائم ،

والمصلوب على خشبة الصليب كمجرم ، قد ساد الان على ممالك العالم
المتمدن وخضع لسلطانه ما يزيد على ثلث سكان الكرة الأرضية

فهل خطر لأحد فكرر كهذا ان يكون موته سبباً لانتشار ديانة
عظيمة كهذه ؟ قيل « حاول ليبييه الفيلسوف الفرنساوى ان يخترع ديناً
فخاب مسعاه فذهب لاستشارة تاليرند المشهور فقال له هذا : « يامسيو
ليبييه لقد شرعت فى امر خطير اذ ليس من السهل انتشار ديانة جديدة .
ولا اعرف كيف تنجح . الا انى اشير عليك ان تموت صليبا وتقوم من بين
الاموات فى اليوم الثالث » أه .

الفصل الثانى

رسل الصليب

لنلتفت الآن الى الذين فوض اليهم نشر الانجيل . فمن هم الذين
أرسلوا ليكرزوا بالمسيحية للخليقة كلها و يتلمذوا جميع الأمم . ربما يخال
للبعض اذ يرون النجاح العظيم الذى لازم المسيحية أن وسائط نشرها
كانت متوفرة ولكن لدفع هذه الشبهة نقول : ان السيد له المجد لم يؤلف
مملكة ويمشد جنوداً ويعمىء عساكر تدافع عن دينه الجديد ولكنه لم يترك
لهم الا تلاميذ لا صولة ولا قوة لهم ولم يترك سيرة محبته التى أشعلت فى
قلوبهم محبة لم يقدر أعداؤهم بمرارة قلوبهم أن يطفئوا نيرانها المتأججة .
وعندما خرجوا الى العالم لم يكن عندهم سوى محبته التى كانت كنزهم
الوحيد الذى لا ينفد . بل هم نفر قليل بدون ادنى أهلية ولا جدارة لهذا
العمل العظيم ، وفى ضعفهم برهان كامل على أن نجاحهم من الله لأنهم لم
يكونوا فلاسفة ولا خطباء ولا معلمين بل هم من قبيلة من البشر معتبرة
عند اكثر الامم محتقرة يزدرى بها الجميع اذراء خصوصيا . ومن الفئة
الاقبل اعتبارا فى تلك القبيلة وكانوا فقراء وضعفاء مهانين لم يعرفوا من
المصالح العالمية سوى جباية العشور وصيد الاسماك ، ومن اللغات سوى
لغة الجليل .

لكن والحالة هذه أرسلهم سيدهم لكى يكرزوا لجميع الامم

والقبائل ويجولوا مبشرين ببشارة الخلاص . ومن المدهش أنهم كانوا يتكلمون بلغات عديدة لم يدرسوها بل أرشدتهم إليها روح الله . واقتحموا أسوار الديانة اليهودية الشائعة وسحقوا قوة الوثنية المحاطة بحصون الرذيلة والفساد والمصانة بمكر الكهنة وتقاليد العصور القديمة ثم دخلوا مدارس الفلسفة العظيمة وكتبوا عجب أولئك الفلاسفة وافهموهم أن الله جهل حكمتهم . وفي هذا يصح قول يوحنا فم الذهب (١) « أين تعاليم أفلاطون وفيثاغورس وفلاسفة أثينا ؟ قد تلاشت كلها . ولكن أين تعاليم صانعي الخيام وصيادي السمك ؟ إنها ليست في بلاد اليهود فقط بل يمكننا سماعها أيضاً باللغات الأخرى ألا ترون أن السكيثيين والهنود والمغاربة والبريطانيين المستوطنين أقصى أطراف العالم حاصلون على هذا التعليم الجليل . قد ترجم الإنجيل إلى لغتهم فوجدوا فيه الحكم الحقيقية . أين ذهبت تسمعون أسماء صيادي السمك الجليليين من كل لسان . ذلك لأن هؤلاء الصيادين لم يكونوا أفضل من غيرهم من البشر بل من جراء قوة المصلوب الذي أعد الطريق لهم والذي صير الجاهل أحكم من الفلاسفة »
أ هـ

إن سنسوس عدو المسيحية عاب على الدين المسيحي انتصار الفقراء له بقوله « أن النساكين والاسكافيين والنجارين والصباغين وأحط الناس تربية وعلماً هم الذين نراهم أشد الناس غيره على هذا الدين المسيحي . أنهم طيبة من الناس لا يستطيعون أن يفتحوا أفواههم

(١) عن كتاب «خطيب الدينيتين» أو تاريخ حياة يوحنا فم الذهب للمؤلف

فى حضرة العلماء وليس لهم نفوذ الا على النساء والاطفال » فرد عليه تروتوليانوس مفتخراً ببساطة الإنجيل كبرهان على سموه الالهى « ان كل صانع مسيحى بسيط قد وجد الله وهو يستطيع أن يدلك عليه و بلا جدال يقدر أن يدرك كل شىء من الأمور المطلوب معرفتها فى الله ولو قال أفلاطون أنه ليس من السهل أن نجد الخالق ومتى وجدناه يستحيل أن نجعله معروفا عند الكل »

ومما يجعل نجاح الرسل البسطاء من أهم المعجزات هو أن التعاليم التى علموا بها لم تكن مناسبة لاغراء الناس وتخليقهم بل كانت منافية لعقوهم جداً . فلا يخفى أن المزورين عندما يريدون اذاعة ديانة جديدة يجتهدون فى جعل تعاليمهم ورسومهم مناسبة لذوق الذين يقصدون تلمذتهم ولكن واضعى الديانة المسيحية لم يسلكوا مثل هذه الطرق المرضية للبشر ، بل كان أول ما طلبوه أن ينكر الانسان نفسه ويحمل ضليبه وكانوا يأمررون بالتوبة عن كل الخطايا مهما كانت متملكة أو لذينة . وكانوا يطلبون طلباً جازماً بترك جميع الأملاك والأصحاب لأجل المسيح . وعلى ذلك فقبول الناس لتعاليم كهذه من أناس سذج كهؤلاء من الغرائب لأنه لم يكن فيهم علم ولا حكمة لكى يجعلوا فى عقول الناس تأثيراً كافياً لاحداث مثل هذه الحركة . لأنه من أين هؤلاء الضعفاء الاستطاعة على اقتناع عقول الناس المقاومين بحقائق لا يقبلها العقل بدهاء ولا تلائم الطبيعة البشرية . ومن أين للصيادين والمشارين والجهلاء أن يقوموا فى وسط مملوء من الافكار المتنوعة وبين قوم كلهم تعصب و يذيعوا مبادئ دين قد أهين صاحبه وقتل صلباً وينادوا الناس للايمان بهذا المصلوب

و يشيرون بين الأمم الوثنية بمبادئ ترفضها ديانتهم و يعلموهم بأن يصدقوا أموراً لم يشاهدوها و تعاليم لا توافقهم . وكيف يمكن لهؤلاء المساكين قوة الاقتناع فى زمان كشرت فيه الآراء الفلسفية لولا أن الله صاحب هذا الدين هو الذى تعهد بانتشاره و قام بإذاعة مبادئه متخذاً هذه الوسائل الضعيفة وسيلة لظهور قوته ليؤيد ألوهية مصدر ديانتته التى يجب أن تحل عن اتخاذ طرق الارهاب و الاغراء و غيرها من الوسائل البشرية .

وأية معجزة قاهرة أبهر من هذا النجاح الباهر فإن التقدم السريع الذى لازم هذه الفئة القليلة هو معجزة المعجزات وأعجوبة كل العصور ، لا ينكرها من يجسر على انكار المعجزات ولا يختلف فى صحتها اثنان

ألا فليبطل افتخار اليهود بهليل وشمعى ، وليكف اليونان عن الاعجاب بأفلاطون و زينون و أبيقورس لأن هؤلاء لم يستطيعوا أن يعملوا عملاً مما عمله هؤلاء الرسل المساكين الذين لم يدرسوا فى مدارس أثينا ولم يخطبوا الخطب الفلسفية العميقة بل فقط نادوا « يسوع وإياه مصلوباً » تلك المناذاة التى ما فتئت تفعل فى النفوس فعلاً عظيماً حتى ضمت تحت لوائها أفراداً عديدين من كل أقطار المسكونة .

الفصل الثالث

اتباع الصليب

« دم الشهداء بذار الكنيسة » (كبر يانوس)

مما يدعو للدهشة أن وسائل التعذيب التى تجرع كؤوسها المسيحيون الأول كانت من أقوى العوامل فى نشر المسيحية وازدياد تابعيها حتى ان الذين قبلوها فى ابان الحزن والضيق كانوا أكثر من الذين قرعوا أبوابها فى زمن الراحة والسلام ومع أنهم رأوا و علموا أن السيف و النار سيلقيان كل مؤمن فقد قبلوا ذلك بكل فرح و سرور وضحوا بدمائهم التى كانت بمثابة سماد قوى المفعول للكرم الالهى الذى أئبغ بها ، وأثمر الأمر الذى جعل الأعداء يلقون سلاحهم لئلا تبتلع المسيحية مملكتهم

وان القلم ليعجز عن وصف هول الاضطهادات المريعة التى هطلت نيرانها على رؤوس المسيحيين ، فان الأعداء أذاقوهم أشنع ضروب العذاب المريعة التى تقشعر من ذكرها الابدان . فاحرقوا البعض من المسيحيين بلظى النيران ليكونوا مصابيح فى الظلمة وعلقوا البعض منهم على الصليبان وألبسوا كثيرين منهم جلود الوحوش وأخرجوهم للفرجة ثم قدموهم للأسد فزقتهم وقتلوا الكثيرين بطرق متنوعة واستعملوا الآلات الحادة لتهدم أعضائهم و سحق عظامهم وأوقدوا الحديد بسعير

النيران الملتبئة وأجلسوا بعض المسيحيين عليه حتى ذابت لحومهم . وتجرع المؤمنون من الآلام المرة في تلك الأزمان ما يشيب هولها الولدان إذا تحد عليهم الولاة الرومانيون مع الشعوب الوثنية لغرض واحد هو استئصال دين المسيح واستعملوا كل قوة بشرية في تعذيب المسيحيين وقتلهم حتى أنه في وقت وجيز جداً كثر عدد الذين استشهدوا . وقد أخبر مؤرخو تلك العصور أن الجوع أو الحرب أو الوباء لم يهلك في وقت ما أكثر منهم . قال كبير يانوس : وكانوا وهم في العذاب أشد وأقوى من معذبتهم وكانت أعضاؤهم المرصعة وعظامهم المهشمة قاسية على الآلات التي تسحقها وتقطع لحومها ، والجلدات المتواصلة لم تقو على زعزعة إيمانهم المتبع مع أنها كانت تقطع لحومهم أرباً وتمزق أمعاءهم أيضاً » هذا ما قرره بعض الذين استمروا يكابدون ذلك الى نهاية الحياة

ولما تشتت المؤمنون من أورشليم من شدة الاضطهاد جالوا مبشرين بالكلمة وفي أقل من ثلاث سنوات نظمت كنائس كثيرة في كل اليهودية والجليل والسامرة . ثم بعد ذلك كرز بالانجيل بين الأمم . وهكذا أخذ العمل يتقدم فلم تمض ثلاثون سنة من موت المسيح حتى انتشرت كنيسته في اليهودية والجليل والسامرة وفي نحو كل مقاطعات آسيا الصغرى العديدة وفي بلاد اليونان وجزائر بحر الروم وسواحل أفريقيا وفي إيطاليا ورومية ايضاً . وكان عدد المؤمنين في كل مدينة يذكر مقرونا بهذه العبارات وهي « عدد عظيم » و « جاهير كثيرة » و « جمع كثير »

فالأمرو واضح من التاريخ ان الديانة المسيحية غلبت واتسعت

في مدة قصيرة في اماكن شتى وهذه الاماكن لم تكن منفردة ولا بعينة عن نور العلم ولكن كانت من المدن العظمى في تذيب أهلها وتمدهم وكان فيها كل نوع من علوم ذلك العصر واليا كانت تتفاطر العلماء فكانت دمشق وانطاكية وأفسس وكورنثوس وفيلبي ورومية هي الاماكن التي أشرق فيها نور الانجيل أولاً . وعلى ما يعرف لم توجد مدينة شهيرة في المملكة الرومانية الا وقد تأسست فيها كنيسة مسيحية قبل موت الرسل ولا يخفى ان هذا الامر لم يكن في قرن مظلم بل كان في قرن يعترف الجميع بأن العلوم الفلسفية وصلت فيه أقصاها اذ جاء بعد القرن الاوغسطاني الذي اشتهر لدى الخاص والعام بالعلماء الماهرين والادباء البالغين . فلو كان الانجيل مزوراً لما كنا نرى المبشرين يذهبون به أولاً الى مثل هذه الاماكن . ولو ذهبوا لانكشف أمرهم في الحال .

يقول تاسيتوس أنه لم تأت سنة ٦٠ للميلاد الا وكانت رومية مليئة بالمسيحيين حتى أنه لما أثار نيرون الدموى اضطهاده الأول استطاع أن يقبض بسهولة على كثيرين منهم ويقول أفيلنيوس الحاكم الروماني على بنطس وبيثينية في رسالة له أنه في سنة ٧٠ للميلاد انتشرت المسيحية في هاتين الولايتين مع انها بعيدتان جداً عن أورشليم وأن كثيرين من كل عمر ودرجة ، ذكورا وأنثاء ، يساقون من وقت لآخر الى محافل القضاء حيث يشتكى عليهم من جهة عقيدتهم .

وعليه فان نجاح المسيحية بهذه الطرق البسيطة هو من معجزات التاريخ مما يدل صريحاً على مصدره الالهى فلا ينسب تقدمه الغريب الا

الى أنه من الله ولا صفاته السامية فعلت في الناس هذا الانقلاب العجيب . لان الدين الذى قام به يسوع المصلوب المحترم . الدين الذى يعلم الناس أن يكونوا ودعاء متفقين يهتمون الظلم ولا يعملون الاساءة الدين الذى ينجح ويتقدم مع وجود كل القوات المختلفة الكافية لأطفاء كل قوة ضدها ويتغلب عليها جميعها ويقهرها تحت سلطانه بل ويستخدمها فى نجاحه هو دين الله المؤيد منه تعالى . وإن نجاحا هذا مقداره لا بد وان يكون منشأه قوة الله غير المحدودة وقيامه المسيح المجيدة

ثم أن ما أحتمله المسيحيون الاولون من العذاب لاجل ديانتهم كان شديدا ويشهد به الجميع من يهود وأمم . والذى ثبت برهانا أنه كان يمكنهم الخلاص حالا من عذابهم لورفضوا الديانة المسيحية ولم تكن عند مضطهديهم غاية سوى الجائهم الى ذلك . وكانوا يغيرونهم دائما بين تقديم الذبيحة والبخور لاهتهم ، وبين احتمال العذاب . فقد كانت كلمة واحدة كافية لخلاصهم وعمل هين كافياً لرجوعهم الى خيرات العالم وملذاته ولكنهم تمسكوا بما كانوا عليه اشد التمسك . نعم ان بعضهم سقط من شدة قساوة المعذبين ولكن لم يسمع قط عن احدهم انه كان منافقا او مراوغا بل ان الذين خانتهم شجاعتهم فى ساعة العذاب لم يزالوا متأسفين على ضعفهم كل ايام حياتهم وهكذا لم يقتل احد لاجل الديانة المسيحية قهراً بل كان كل شهيد يبذل نفسه باختياره تمسكا بالحق وحفظا لسلامة الضمير .

قال بعض المؤرخين « يجب النظر الى مصائب المسيحيين الأولين

من وجه آخر وهو السجايا التى ظهرت منهم حينما كانوا يهتمون كل نوع من العذاب فان اناسا من كل سن ورتبة ، ذكورا واناثا قد اظهروا تحت العذاب الأليم المستطيل شجاعة وصبراً لا نظير لها فى تاريخ جميع العالم . لقد فرحوا عندما امسكهم الظالمون وتودعوا من اقرب الاهل واعزهم بكل بشاشة ، ودخلوا فى النار بكل سرور ورحبوا بالوحوش الضارية التى اطلقت عليهم لتفترسهم وتيسموا لما رأوا تلك الآلات التى تمزقت بها لحومهم وانخلعت مفاصلهم وتكسرت عظامهم ، وعندما حكم عليهم بالموت لم يظهر عليهم اى تألم بل طلبوا من أصحابهم أن لا يتعرضوا فى سبيل سعادتهم (أى الموت) واتصلهم بالله ولو بالصلوات لاجل نجاتهم «

فما هذه الشجاعة الفائقة القدرة البشرية ؟ وأى روح عاون هذه الجماعة الحقيرة المضطهدة ؟ واية مبادئ طبيعية فى تركيب الانسان تكون علة كافية لهذه الغلبة على الألم والموت ؟ أكانوا يهتمون كل ذلك لو عرفوا أن دينهم هو زور وهتان ؟

ان نساء شريفات وشيوخا طاعنين فى السن كانوا اشجع من الشبان والاقوياء إذ كانوا يسلمون فى انفسهم حتى الموت وشهدوا او ختموا شهادتهم بنعائهم والان قد تسربلوا بثياب بيضاء وهم يسبحون تسبحة موسى والخروف والأغصان فى ايديهم . فطوباكم أيها الشهداء لقد استرحتم من اتعابكم واعمالكم تتبعكم .

اجل . بمثل هذه الظروف كانت الكنيسة محاطة فى تلك الايام غير انها لم تقف عند حد محدود بل جعلت تتقدم وتمتد وتقوض اركان كل

ما تراه معوقا لسيرها وبعد مدة ٣٠٠ سنة من بدء تأسيسها صارت دين
المملكة الرومانية الرسمي وسقطت الديانة الوثنية العظيمة حتى صرخ آخر
قيصر الوثنيين الرومان عند موته قائلاً : « لقد انتصرت أخيراً لها
الجليلى » (١)

الخاتمة

« روح الرب على لأنه مسحني لأبشر المساكين .
أرسلني لأشفي المنكسرى القلوب لأنادى للمأسورين
بالاطلاق وللعمى بالبصر وأرسل المنسحقين في
الحرية » لوقا : ١٨

منذ تسعة عشر جيلاً وكثير من الناس الذين ساءوا فهم المسيحية
يعبدون الضعف بشخص يسوع ، و يسوع كان قوياً ولكنهم لا يفهمون
معنى القوة الحقيقية

لقد أضنا في الباب الثالث في وصف ضعف المسيح المتأنس
وهذا لا يؤخذ منه أن يسوع كان ضعيفاً في كل شيء . حاشا . لأنه كان
قوياً في ارادته . قوياً في حجته . قوياً في أعماله . قوياً في كل شيء
غير أنه تجرد مما يقال له « القوة العالمية » أي أنه لم يقم بتعز يزدينه بقوة
بشرية ولا بمساعدة وسائط زمنية .

لقد رأينا يسوع الناصري مولوداً كالفقراء ، عائشاً كالمساكين
مهاناً ، كالضعفاء مصلوباً كالمجرمين فنيكه ونرثيه وننديه وهذا ما نفعله
لتكرمه .

(١) هو يوليانوس قيصر الذي كان مسيحياً وارتد عندما جلس على العرش وبدأ يقاوم
المسيحيين ومات وهو في موقعة حربية وأخذ حفنة من دمانه ورشها في الفضاء وصاح
قائلاً : غلبت يا جليلي

كلا! ما عاش يسوع مسكينا خائفا . ولم يمت شاكيا متوجعا بل
عاش قويا . وصلب شجاعا . ومات جبارا

لم يكن يسوع طائراً مكسور الجناحين بل كان عاصفة هوجاء
تكسر بهوبها جميع الاجنحة المعوجة

لم يخف يسوع مضطهديه ولم يخش اعداءه ولم يتوجع أمام قاتليه بل
كان حراً على رؤوس الاشهاد . جريئاً أمام الظلم والاستبداد . يرى
الأمراض الروحية فيبضعها . ويسمع الشر متكلماً فيخرسه . ويلتقى
بالرياء فيصرعه

الاأها الجبار المصلوب

الناظر من أعالي الجليظة الى مواكب الاجيال . السامع ضجيج
الامم . الفاهم ما يجري تحت ستار الظلام . أنت على خشبة الصليب
المضرجة بالدماء أكثر جلالات ومهابة من الف ملك على الف عرش فى
الف مملكة . بل أنت بين النزاع والموت أشد هولاً و بطشاً من الف قائد فى
الف جيش فى الف معركة لانك بضعفك وبصيادى السمك وباضطهاد
شعبك أسست مملكة عظيمة دالت لها كل الاعناق

أنت بكأبتك أشد فرحاً من الربيع بأزهاره . أنت بأوجاعك اهدأ
بالا من الملائكة بسماثها . وأنت بين الجلادين أكثر حرية من نور
الشمس .

ان اكلليل الشوك على رأسك هو أجل وأجل من تاج بهرام (١)
والمسمار فى كفك اسمى وأفخم من صولجان المشتري ، وقطرات الدماء
على قدميك اسنى لمعاناً من قلائد عشتاروت (٢)

(١) بهرام شاه العجم

(٢) عشتاروت آلهة للصيدونيين (قض ٢ : ١٣) ودعيت هذه الالهة ملكة السماء
ولذلك قلدها عابدها بقلائد من أنفاس الجواهر ضرب بها المثل للأشياء الثمينة .

فسامح أولئك الضعفاء الذين ينكرون ألوهيتك والذين يهزأون
بدينك . واغفر لهم لانهم لا يعلمون بانك صرعت الموت بالموت ووهبت
الحياة لمن فى القبور

وختاماً نرحب بذلك اليوم السعيد الذى فيه تسود الميادىء
المسيحية على كل العالم وتتشرب بتعاليمها فعلا لا اسما فتنمور روح الفضيلة
والصدق والرفق والمحبة والتواضع والرحمة والاخاء والمساواة وتتلاشى
الضعفائن والاحقاد بين عناصر البشر المختلفة و يصبح العالم باجمه ملكا
للمسيح خاضعا لسلطانه .

فى ملء الزمان

بينما كان هذا الكتاب ماثلاً للطبعة الأولى سنة ١٩٢٠ اطلع
على الأصول حضرة الاستاذ الفاضل خليل افندى رزق فاتمخنا بكلمة
ثمينه جادت بها قريحته النيرة ادرجناها هنا مع الشكر الجزيل ونحسبها
طرفه شهية تروق لحضرات قراء كتابنا الكرام فيقتطفونها بشوق ورغبة لما
حوت من جليل اللفظ وبديع المعنى ، وها هى :-

عبد المصريون قديماً العجل أبيس وعبد الرومان جوبيتر والهنود
برهما والصينيون كونفوشيوس . وكل يعتقد أن معبوده مظهر من مظاهر
الخالق ، به يتقرب اليه زلفى فدل هذا على حاجة البشر بالقطرة الى
وسيط يكون حلقة الاتصال بين الخالق والمخلوق ويكون مثلاً أعلى
وفؤذجا كاملاً فى التقى والقداسة

(وفى ملء الزمان) جاء يسوع بهاء مجد الله ورسم جوهره واتخذ
جسداً وولد من عذراء كى يدرك البشر به الله ويرونه فيه . جاء نوراً للعالم
فأكمل الشرائع على مقياس المحبة وانكار الذات . وأمر بمحبة العدو
واستعمال الخير سلاحاً لغلبة الشر وعلم بطهارة القلب والفكر وأسس
مملكته لا بقوة السيف ولكن بقوة المحبة فاصبح عدد تابعيه ٧٠٠ مليون مع

ما وقع عليهم فى بدء تاريخهم من الاضطهاد فعذبوا ونشروا وأحرقوا احياء
وأموات واحتملوا كل ذلك بفرح ، ولسان حالهم يقول

انى أحب الرب لا لأربح النعم
ولا لكى أنجو من ال عذاب فى الجحيم
لكن أحببه لان لى حبه يملو
وهو الذى من فضله أحببى قبل

فوجود المسيحية اليوم هو معجزتها وسيطرتها ، على عالم الادب
والسياسة دليل على قوة تأثيرها .

وكما أن نور الشمس لا يخفى الا على من أظلمت بصيرته كذلك
لا يرى جلال « شمس البر » من وضعوا على عيونهم حجبا كثيفا
وأصدوا قلوبهم واسكتوا ضمائرهم بل أماتوها حتى لا يزعجهم تبيكيتها .
وقد كثر أمثال هؤلاء الذين أخذوا من العلوم قشورها وخالوا أنفسهم من
الراسخين غير انه قد طاش سهمهم وخاب ظنهم فانهم بذلك عجزوا عن
معرفة ما يدره البسطاء ولقد صدق فى ذلك قوله له المجد « اخفيت هذا
عن الحكماء والعلماء واعلنته للاطفال » بيد انه لا مراة فى ان كتاب
« الدليل الصحيح » هذا من اهم الكتب التى تقود من يطالعها الى
« قديم الأيام » و « ملك الدهور » وهذا مما يسر كل محبى صهيون .

خليل رزق

تحفة نفيسة

لقد تحفنا حضرة الفاضل الشيخ اسكندر عبد المسيح الباجورى
بقصيدة نفيسة تبرهن على شديد اخلاصه لكنيستنا القبطية . ولا غرو فانه
معروف بمؤلفاته العديدة وقصائده ومقالاته التى ملأت أعمدة جريدة
الحق فله منا الثناء . وهذه هى قصيدته الغراء .

للقبط فى مرقى العلى وثبات ولهم جهاد فى الملا وثبات
قطعوا العهود لمرقس وتمسكوا بعهودهم فأعزهم سادات
مذ جاء كاروز الديار مبشراً فتعلمنوا وتحسنت عادات
عاشوا بجد حافظين لعهدهم فى الأرثوذكس حياتهم ومات
عاشوا بايمان قويم مقنع شهدت لهم فى الله مؤتمرات
تقليدهم من عهد وحى مسيحتنا اصلاحهم سجدت له الهامات
حفظوا « الكتاب » وترجموه بدقة لم يشتم ظلم ولا عثرات
سنوا لنا قانون ايمان به بحق الجحود وجله فقرات
من بعد ذا جاء الرجم بجنده فأصابنا ضرب به وشتات
كثر اضطهاد الظالمين وبغيهم فاستشهد الآلاف والربوات
ولقد صبرنا فى قرون قد خلت حتى خلت منا مديريات
عاث العلو فساده فى أرضنا وبديننا مذ كانت الظلمات
فتضافر الشيطان مع أعدائنا بين الانام فساءت الغايات

وانحط شعب الله من عليائه
بدأ التنور في البلاد مشوها
فتدرونوا وتمسكوا بطبيعة
ظن العدو بأننا في هزيمة
واذا « منسى » في ميادين الهدى
ينسى « منسى » أنه نسل الالى
نسل القمامة الكرام وآله
لا ريب ان الشبل يشبه والدأ
رباه شماس الشمس « حيينا »
فأجاد تربية أنت بنتائج
رباه مجتهداً وهذا ضوؤه
فأتى بكتب كالكتائب منجداً
لكن أنفعها لارباب الحجى
هذا الصحيح من الأدلة كلها
ويليه « نور باهر » من قصده

اسكندر عبد المسيح الباجورى

فهرس

صفحة

مقدمة	٥
الياب الأول - شهادة العطاء للمسيح	٨
الفصل الاول - شهادة العطاء للمسيح قبل ظهوره	١١
الفصل الثانى - شهادة العطاء للمسيح فى ابان ظهوره	١٦
الفصل الثالث - شهادة العطاء للمسيح بعد ظهوره	٣٨
الباب الثانى - فضل المسيحية	٥٦
الفصل الاول - عجز الشرائع عن تخليص الانسان	٥٨
الفصل الثانى - العالم والمسيحية	٦٣
الباب الثالث - معجزة المسيحية	٧٣
الفصل الاول - الصليب	٧٨
الفصل الثانى - رسل الصليب	٨٣
الفصل الثالث - اتباع الصليب	٨٧
الخاتمة	٩٣
فى ملء الزمان	٩٧
تحفة نفيسة	٩٩